المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
إدارة الثقافة والنشر



من ينابيع الثقافة
- ٢٥ -

الشيخ رشيد رضا السلفي المصلح

١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ / ١٨٦٥ - ١٩٣٥م

تأليف

الدكتور / محمد بن عبدالله السلمان
الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٤هـ / ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

٩٢٢/١١٧
٤٤١ س السلمان ، محمد بن عبدالله
الشيخ رشيد رضا السلفي المصلح
محمد بن عبدالله السلمان . ـ الرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
ردمك ٣ ـ ٠٠٠ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠
١٩٢ ص ؛ ٢٠ سم . ـ (من ينابيع الثقافة؛ ٢٥).
١ . رضا، محمد رشيد، ت ١٣٥٤هـ.
٢ . الحركة السلفية ـ مصر.
أ. العنوان ب. السلسلة.
رقم الإيداع : ٠٢٢٦ ـ ١٤
ردمـك : ٣ ـ ٠٠٠ ـ ٠٤ ـ ٩٩٦٠

تقديم
لمعالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنبياء وخاتم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فإيماناً من الجامعة بأن مهمتها لا تقتصر على القيام بواجبها نحو الشباب المنتسب لمعاهدها أو كلياتها فحسب، بل لا بد أن يتعدى مقاعد الدراسة ليتصل بالشباب المسلم في كل مكان من ديار الإسلام .

فقد استمرت ولله الحمد في إصدار سلسلة «من ينابيع الثقافة» ، التي صدر منها حتى الآن (٢٤) كتاباً، وهي موجهة لأبنائنا الشباب، كي يعرفوا كنوز عقيدتهم وما فيها من الخيرات والطيبات.

والكتاب الذي بين أيدينا عن الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار ـ السلفي المصلح ـ تناول فيه مؤلفه الدكتور محمد بن عبدالله السلمان الأستاذ المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحديث عن هذه الشخصية الإسلامية التي كان لها أثرها الكبير في إصلاح المجتمع، وذلك بأسلوب علمي موثق .

وقد جاء الكتاب في قسمين : أولهما تحدث فيه عن شخصية هذا المصلح، وجهوده في مجال الدفاع عن الدعوة الإسلامية الصحيحة ومناصرته لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية خاصة .

أما الثاني فقد بين فيه جهوده في ميدان إصلاح المجتمع من خلال مجالات متنوعة مثل التعليم والتضامن بين المسلمين ووحدتهم، إضافة إلى ذلك، تحدث فيه عن صلاته السياسية بمن يلمس منهم الخير من زعماء المسلمين، ومن أبرزهم مؤسس هذه المملكة الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - ، وفي الختام بيّن الأثر الإيجابي لمجلة المنار في كثير من الأقطار الإسلامية. وما تزال هذه المملكة المباركة تسير - بقيادتها الرشيدة - على النهج الإسلامي الصحيح المستمد من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتدعو إليه على بصيرة، لا يضرها في ذلك من خالفها أو عاداها، مجاهدة لنصرة الإسلام والمسلمين، حاملة لواء الدعوة إلى الله تعالى، باذلة الجهد والمال والوقت في هذا السبيل الشريف .

أسأل الله العلي القدير أن يزيد بلادنا العزيزة وقيادتها الرشيدة عوناً وتوفيقاً، وقوة وعزة ومنعة، وأمناً وطمأنينة، وتمسكاً بكتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين، وأن ينفع بهذا الجهد الطيب شباب

الإسلام، وأن يجزل الأجر والثواب للمؤلف، إنه ولي ذلك والقادر عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله . . .

محمد بن عبدالله العجلان

مقدمـة المؤلـف

إن الحمـد لله نحمـده ونستعينـه ونستغفره ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه. ونصلي ونسلم على نبينا محمد إمام المصلحـين وقـدوتهم إلى يوم الـدين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين.

وبعد :

فلما صدر كتـابي «رشيد رضـا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» بطبعتيه[1] رأيت ـ وبمشورة من بعض الأخوة ـ استخلاص كتاب خاص عن الشيخ رشيد رضا مركزاً على سلفيته وإصلاحاته ليكون في حجم يناسب قراء كتب الثقافة الإسلامية ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، فكـان هذا الكتاب والذي أرجو أن يكون وافياً بالغرض الذي من أجله كتب .

---

(١) أصله رسـالتي للماجستـير قام النادي الأدبي بالقصيم بطبع كثير من مباحثها عام ١٤٠٧هـ ثم نشرت مباحثها كاملة مكتبة المعلا بالكويت عام ١٤٠٩هـ في ٦٠٠ صفحة .

ولما جاءت دعوة إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للإسهام في سلسلة (ينابيع ثقافية) رأيت مناسبة هذا لأهدافها .

وقد قسمت الكتاب إلى قسمين رئيسين : الأول عن رشيد رضا السلفي ويشمل خمسة مواضع. أولها : نشأة رشيد العلمية. وثانيها : الاتجاه السلفي لرشيد. وثالثها : مجلة المنار وسلفيتها ورابعها : تفسير المنار وسلفيته . وخامسها : مؤلفات رشيد وسلفيتها .

أما القسم الثاني فهو عن رشيد رضا في ميدان الإصلاح. ويشمل ثلاثة مواضيع. أولها : أعماله الإصلاحية. وثانيها : رشيد والإصلاح السياسي. وثالثها : أثر المنار الإصلاحي في العالم الإسلامي .

وقد حاولت التركيز على المعالم الرئيسة في كل موضوع تمت دراسته. ليخرج القارىء في النهاية بحصيلة طيبة لشخصية إسلامية إصلاحية في عصرنا الحديث. كما حرصت على توثيق أية معلومة ترد في هذا الكتاب ليتمكن القارىء من مراجعتها عند الحاجة وذلك بذكر ذلك في هامش كل صفحة مع ذكر سنة الطبع في أول ذكر للمصدر

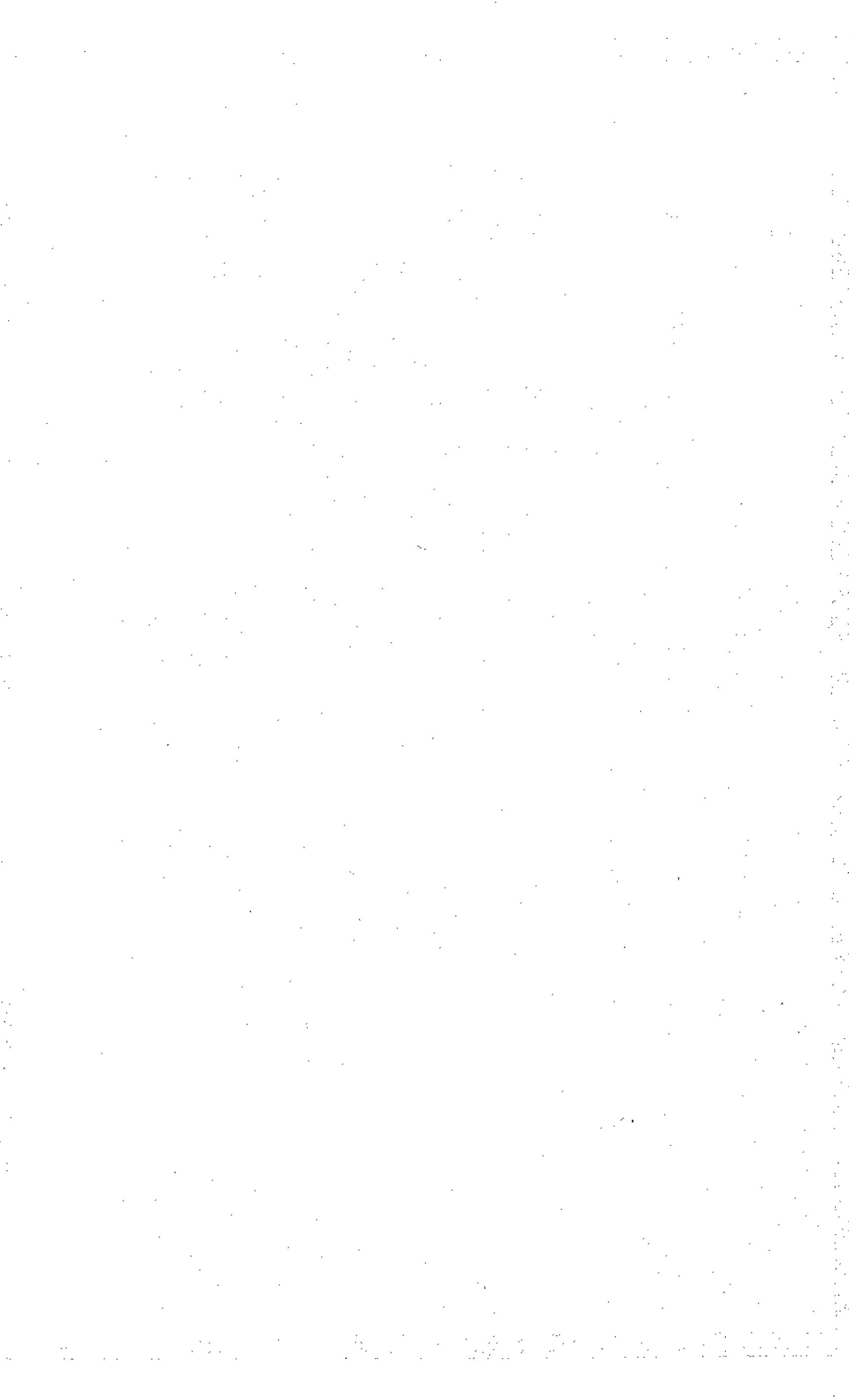
أو المرجع . وقد رأيت أن هذا يغني عن إفراد ثبت للمصادر والمراجع جميعها في آخر الكتاب. لأن في ذلك تكراراً لا لزوم له خصوصاً وأنها كثيرة تتجاوز مائة مصدر ومرجع .

وفي الأخير أضرع إلى المولى العلي القدير أن يجعل هذا في موازين أعمالنا يوم نلقاه. وأن يعصمنا من الزلل في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

د. محمد بن عبدالله السلمان

عنيزة ٤/ ١١/ ١٤١٣هـ



القسم الأول

رشيد رضا السلفي

ويشتمل على :

أولاً : نشأة رشيد العلمية .

ثانياً : الاتجاه السلفي لرشيد .

ثالثاً : مجلة المنار وسلفيتها .

رابعاً : تفسير المنار وسلفيته .

خامساً : مؤلفات رشيد وسلفيتها .

« القسم الأول »

رشيد رضا السلفي

أولاً : نشأة رشيد العلمية

(أ) مولده ونسبه :

إن التاريخ الدقيق لمولد رشيد رضا والذي اتفقت عليه المصادر كافة هو في ٢٧ من جمادى الأولى سنة ١٢٨٢هـ الموافق ٢٣ من سبتمبر سنة ١٨٦٥م[١].

أما مكان ولادته فيقول رشيد عن نفسه: « ولدت ونشأت في قرية تسمى القلمون على شاطىء البحر المتوسط في جبل لبنان تبعد عن طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال »[٢].

أما نسبه فيذكر رشيد أنه من «الأشراف» وأنه ينتسب

(١) أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ١٠٢ .

(٢) محمد رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٣ ، ط ١٣٥٣هـ.

إلى بيت الـرسول ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ فنراه تارة يقول عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه «جدنا المرتضى عليه السلام» وتارة يقول: «جدنا الحسين عليه السلام»[1] وفي بعض الأحيان يكتب اسمـه في مقـدمة الكتاب وفي مقـالاته هكذا «محمد رشيد رضا الحسيني [2]» كما يحرص حرصـاً شديداً على أن يقـرن لقب «السيد» باسمه دائماً فيقول «السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار» .

ونسب رشيد الكامل هو : السيد محمد رشيد رضا بن السيد علي رضا بن السيد محمد شمس الدين بن السيد بهاء الدين بن السيد منلا خليفة البغدادي .

وقد أورد شكيب أرسلان رواية عن كيفية وصول أسرة رشيد إلى القلمون فذكر أن أجداد رشيد رضا ينحدرون من العـترة النبـوية الشريفة وهم من الأشراف الحسينيين وأصلهم من الحجاز وانتقلوا إلى العراق ونزلوا النجف ثم نزحـوا من العـراق إلى الشام وسكنوا قرية القلمون على

---

(١) مجلة المنار المجلد ١٣ ص ١٣٢ والمجلد ١٥ ص ٧٨ .

(٢) انظر مثلاً مقدمته لكتاب شكيب أرسلان « الارتسامات اللطاف » ط ١٣٥٠هـ، وانظر : مجلة المنار المجلد ١ ص ٨ ومجلد ١٢ ص ١٥ .

سيف البحر بقرب طرابلس الشام، وأول من اتخذ القلمون سكناً له من أجداد رشيد هو: (منلا علي خليفة البغدادي)[1].

وأياً كان الأمر فاستقصاء نسب رشيد رضا أمر غير مهم لنا في دراستنا تلك إنما المهم أن نشير هنا إلى أن حرص رشيد رضا على تأكيد نسبته إلى بيت النبوة في كثير من كتاباته حتى في تفسيره للقرآن الكريم[2] إنما هو راجع ـ في اعتقادنا ـ إلى الظروف السياسية التي واجهتها أسرته بهذا النسب ضد ما يخشاه من حيف الدولة العثمانية أو استخفاف الناس. ويذكر الشرباصي أن حرص رشيد هذا خف حينما خف ظلم العثمانيين أو زال عن أسرته من جهة وسطع نجم رشيد رضا من جهة أخرى[3].

---

(١) شكيب أرسلان: السيد رشيد رضا ص ٨٠٩ ـ ٨١١ ط ١٣٥٦ هـ ويلاحظ أن اسمه مركب من (محمد رشيد) واسم عائلته (آل رضا). انظر: محمد بهجت البيطار: المصاب العام بوفاة السيد الإمام محمد رشيد رضا في مجلة المجمع العلمي العربي ـ المجلد ١٥ ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٢) رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ط ١٣٦٧هـ، جـ ١ ص ٥١ حـ ١١، ص ٤٩ ومجلة المنار مجلد ٨ ص ٣١٧.

(٣) أحمد الشرباصي: المرجع السابق ص ١٠٦ و ١٠٧.

والـواقـع أن قضية إثبات نسب رشيد رضا إلى البيت النبوي قضية شائكة كثر كلام أعداء رشيد فيها ونفيهم لها أو شكوكهم فيها، وقد تبعهم في ذلك كثير من الباحثين الأجانب[1] .

(ب) نشأته والعوامل المؤثرة فيها:

بدأ السيد محمـد رشيد رضـا تعلمـه على كتّاب قرية القلمون حيث حفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم وتعلم مبـادىء الحساب. ثم دخل المدرسة الابتدائية بطرابلس وهي مدرسة حكومية وتسمى (المدرسة الرشيدية) ـ ولكن التدريس فيها كان باللغة التركية ـ لذلك انصرف عنها بعد سنة لأنه لم يرد ـ كما يقول ـ أن يخدم الحكومة .

وفي سنة ١٢٩٩هـ أو ١٣٠٠هـ دخل المدرسة الوطنية الإسلامية بطرابلس الشام والدراسة فيها باللغة العربية إلا اللغتين التركية والفرنسية . وفيها توسع بدراسة العلوم العـربية والشرعية كما درس فيهـا المنـطق والـرياضيات

(١) J. Jomier, Le commenaire coranique du Manar P. 23 Paris 1954.

والفلسفة وكان مدير هذه المدرسة هو أستاذ رشيد الشيخ (حسين الجسر)[1] .

ولكن هذه المدرسة لم تستمر طويلاً ذلك أن الحكومة العثمانية لم تقبل أن تعدها من المدارس الدينية التي يعفى طلابها من الخدمة العسكرية . فكان ذلك سبب انصراف الطلاب عنها وإلغائها. فانتقل رشيد إلى (المدرسة الدينية) بطرابلس حتى حصل فيها على الإجازة العلمية وهي التي تعادل الشهادة العالمية وهناك واصل تعلمه على الشيخ (حسين الجسر) في (المدرسة الرحيبية) بطرابلس وفي دار الشيخ نفسه حتى تخرج على يديه وكتب له الشيخ الجسر الإجازة بالتدريس سنة ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) .

وبجانب ذلك تلقى العلوم العربية والأدبية والتصوف على الشيخ (عبدالغني الرافعي) والشيخ (محمد القاوقجي الكبير) وتلقى علم الحديث وفقه الشافعية على الشيخ (محمود نشابة)[2] .

ولكن الشيء المهم في هذا الموضوع التعرف على

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٣٩ ـ ١٤١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢ .

العوامل المهمة التي تأثر بها رشيد رضا في نشأته الأولى العلمية منها والتربوية[1] .

وأهم تلك العوامل :

(أ) البيئة التي ظهر فيها : فقد ولد رشيد في قرية القلمون ونشأ فيها وتعلم في طرابلس . والقلمون وطرابلس من القرى والمدن المحافظة على شعائر الإسلام من صلاة وصيام والبعيدة عن انتشار أنواع الفاحشة والمنكرات، كما يذكر ذلك رشيد نفسه[2] .

(ب) بيت رشيد : ونقصد به مكانة أسرة رشيد الدينية والعلمية في بلاده إضافة إلى التربية التي قام بها والد رشيد لتربية ابنه تربية علمية صالحة. أما أسرته فيذكر رشيد عنها أنها أسرة شرف وكرامة وكرم ودين وتقوى وعزة

---

(١) يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسة الأدبية جـ ٢ ص ٣٩٦ ط. لبنان عام ١٩٥٦م .

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ١٥٥ .
ومجلة المنار مجلد ١١ ص ٨٧٤ و ٨٧٥ .
ومجلة المنار مجلد ١١ ص ٧١٦ ويوسف أيبش : رحلات رشيد رضا ص ١٨ و ٢٣٧ و ٢٣٨ ، ط ١٩٧١م .

نفس وأن الناس يعتقدون تسلسل الولاية فيهم ويتبركون بكبار رجالهم.

أما والده فقد كان شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها وهو «السيد علي رضا الحسيني»[1]، وكان سنياً شافعي المذهب[2].

ويصف رشيد والده بالشدة في التربية فيقول: «وكنت أنا وأخواتي نهاب والدنا أشد المهابة[3]، وكان يوصينا دائماً بالخوف من الله تعالى دون سواه[4].

وقد توفي والد رشيد في رجب سنة **١٣٢٣هـ** (سبتمبر **١٩٠٥م**)[5].

أمـا والدة رشيد فاسمها (فاطمة) وتنتسب إلى البيت النبوي من جهة الأب والأم ويصفها رشيد بقوله: «كانت

(١) مجلة المنار ـ المجلد الثامن ص ٥٥٣.
(٢) مجلة المنار ـ المجلد الثامن ص ٥٥٤ و ٥٥٦.
(٣) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٣٣ و ١٣٤.
(٤) مجلة المنار : المرجع السابق ص ٥٥٧.
(٥) المرجع السابق ص ٥٥٦.

من أسلم النـــاس فطرة وأكــبرهن خلقــاً وأوفــاهن لزوج وأحناهن على ولده»[1].

توفيت في ربيع الآخر سنة ١٣٥٠هـ (سبتمبر ١٩٣١م)[2].

(جـ) أساتذة رشيد: فرشيد يذكر لنا في ترجمته لحياته أنه طلب العلم على عدة أساتذة كبار في القلمون وطرابلس وأهمهم:

١ - الشيخ حسين الجسر[3] وهو من أكبر علماء سورية في عصر رشيد.

وأكثـر كتب الشيخ حسـين الجسر شهـرة (الرسالة الحميدية) ويصفها (هنري لاوست) بقوله: «وهي

---

(١) رشيد رضا: مرجع سابق ص ١٣٣.

(٢) مجلة المنار المجلد ٣٢ ص ٧٣ ورشيد رضا: مناسك الحج ص ٤ ط ١٣٦٨هـ.

(٣) ولد عام ١٢٦١هـ (١٨٤٥م) وتوفي عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وهو من علماء طرابلس الذين أخذوا علمهم من الجامع الأزهر، ومع ذلك لم يتأثر بجمود علماء الأزهر بل كان له آراء اجتهادية ويجمع في علمه بين علوم الدين والعلوم العصرية ومن أهم مؤلفاته « الرسالة الحميدية » انظر: الزركلي: الأعلام جـ ٢ ص ٢٨٣، ط. الثالثة.

دفاع قوي عن الإسلام موجه إلى الخليفة عبدالحميد»[1].

وكان للشيخ الجسر تأثير واسع على رشيد رضا. فقد تأثر رشيد بأستاذه في ترك المناقشات اللفظية، واستطرادات الحواش، وفي سهولة البيان والنظر في العلوم العصرية لحاجة علماء الدين إلى معرفتها[2].

ومع ذلك خالف رشيد أستاذه في بعض الأمور المهمة، فهو ينكر على أستاذه مداراة الجامدين.

كما أخذ رشيد على أستاذه التوسع في متابعة الصوفية[3].

ولكن حسبنا أن نذكر أن تعلم رشيد رضا على شيخه الجسر سواء في (المدرسة الوطنية الإسلامية) أو في غيرها قد زاد من رصيد رشيد رضا في التعليم المنهجي[4].

---

(١) Henri Laoust, Essal sur les Doctrines Sociales et Plitiques de Taki-d-din Ahmad B. Taimiya P. 557 Paris 1939.

(٢) إبراهيم العدوي: رشيد رضا الإمام المجاهد ص ٢٤، ط ١٩٦٤م، وأحمد الشرباصي: مرجع سابق ص ٢٤٥.

(٣) رشيد رضا: المنار والأزهر ص ١٤٥.

(٤) Malcolm. H. Kerr. Islamic reform in the Political and legal theories of Muhammad Abduh and Rashid Rida P. 154 Los Angeles 1966.

٢ ـ الشيخ محمود نشابة : وهو من شيوخ رشيد الذين تلقوا تعليمهم في الأزهر لمدة طويلة[1].

وقد تلقى رشيد على شيخه محمود نشابة علم الحديث وفقه الشافعية[2]. وتوسع رشيد في دراسته على هذا الشيخ في علم الحديث وبلغ فيه درجة عالية ساعدته فيما بعد ـ على أن ينتقد ما في الكتب من الأحاديث الضعيفة والموضوعة[3].

٣ ـ الشيخ عبدالغني الرافعي : وهو أحد الأعلام الذين تلقى عنهم رشيد رضا علومه الأولية واستفاد منهم. وهو من مشاهير القطر الشامي في عصره[4].

ويحدثنا رشيد عن العلوم التي استفادها من شيخه الرافعي بقوله : «وحضرت على العلامة عبدالغني

---

(١) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٢ ، ومجلة المنار المجلد ٢٠ ص ٧٧ في الهامش .

(٢) رشيد رضا : يسر الإسلام وأصول التشريع العام ص ١٩ في الهامش، ط ١٣٧٥هـ.

(٣) إبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٣١، ورشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٢ .

(٤) شكيب أرسلان : المنار والأزهر ص ١٤٢ ، ومجلة المنار المجلد ٢١ ص ١٥٩ .

الرافعي قليلاً من كتاب نيل الأوطار للشوكاني، ولكنني استفدت كثيراً من معاشرته في العلم والأدب والتصوف[1].

٤ ـ الشيخ محمد القاوقجي : يمكن القول أن الشيخ القاوقجي هو أستاذ رشيد الأول في التصوف، وكان هذا الشيخ مشهوراً بشدة ورعه منقطعاً للعبادة والعلم وله عناية برواية الحديث والاشتغال بالفقه والتصوف وقد استفاد منه رشيد في ذلك كله[2].

ولكن يقرر رشيد أنه بعد استقلاله الفكري، لم يبق في ذهنه عن شيخه القاوقجي إلا الأحاديث التي أوردها عنه، وذلك المثال الجميل لقنوته وتعبده في الليل وأثر خطبته التي كان الناس لا يبكون في خطبة سواها[3].

بهذا العرض السابق لأساتذة رشيد ندرك إلى أي حد

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٢ ، ومجلة المنار المجلد ٢١ ص ١٥٩

(٢) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٢ و ١٤٣ .

(٣) مجلة المنار المجلد ١٤ ص ٤٢٨ .

كان كل واحد منهم له الأثر الفعال في نشأة رشيد التربوية منها والعلمية.

(د) استعداده الشخصي : وهو لا ريب عامل مهم أثر في حياة رشيد التربوية منها والعلمية تأثيراً بالغاً.

ونترك رشيداً بنفسه يحدثنا عن هذه الصفات فهو ـ كما قال شكيب أرسلان ـ أعلم بنفسه وبنشأته وببيته وبيئته وأدرى بأعماله وآثاره[1].

فهو بطبيعته ذكي الطلعة، يريد أن يعرف، وأن يعلم ، وأن يفهم بل إن عنده من المواهب والاستعداد الفطري ما ليس عند الكثير من أقرانه[2]. وهذا شيخه (حسين الجسر) يقول عنه: «إن فلاناً ـ يعني رشيد ـ جاءني لطلب العلم فساوى في السنة الأولى أذكياء الطلبة الذين كانوا في السنة السابعة»[3].

ومن الصفات الفطرية التي اتسم بها رشيد ألا يقبل

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٢٠ .

(٢) أحمد الشرباصي : مرجع سابق ص ١١٨ .

(٣) رشيد رضا : مرجع سابق ص ١٤٤ .

مسألة علمية إلا عن فهم واقناع، فلم يكن مقلداً أعمى يحفظ ولا يفهم[1].

وفي واقعة يرويها رشيد تدل على سرعة البديهة عنده وذكائه يذكر أن متصرف طرابلس في وقت طلبه العلم واسمه (مصطفى لطفي بابان) قال لرشيد كأنه يعرض به: «إن دولتنا مخطئة في إعفاء العلماء وطلاب العلوم الدينية من الخدمة العسكرية، وهي واجبة شرعاً، وهم أولى الناس بالقيام بهذا الواجب» فقال له رشيد على البداهة: إن لهذا الإعفاء أصلاً في كتاب الله، قال المتصرف متعجباً: في كتاب الله تعالى.. قال رشيد: نعم وهو قوله تعالى: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» قال رشيد عن المتصرف بعد سماعه هذا «فدهش وأثنى علي ودعا لي دعاء صالحاً من قلبه»[2].

(هـ) دراسته الخاصة: يمكن القول: أن معظم علم رشيد وثقافته قد كونها بجهده وعصاميته ومطالعاته

---

(1) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(2) المرجع السابق ص ١٧٦ .

الخاصة. فرغم أن دراسته المنهجية على أساتذته لها فضل كبير على رشيد لا ينكر في سعة علمه وثقافته، إلا أننا نرى من خلال سيرة رشيد أن معظم ثقافته وعلومه قد اكتسبها بقراءاته الخاصة. وهو لم يقصر نفسه على لون واحد من الكتب، بل طالع كل ما استطاع وانتفع بكل ما طالع. وإن كان بعضها قد استبد باهتمامه أحياناً.

والكتب التي طالعها رشيد لتكوين ثقافته الأولى كتب مختلفة ومتنوعة: فمنها كتب لغوية وأدبية في النحو والصرف والأدب، ومنها كتب إسلامية في التوحيد والتصوف والتفسير ومنها كتب في المنطق والعلوم الاجتماعية، إضافة إلى كتب تبحث في علوم عصرية، وكتب غير إسلامية، وصحف ومجلات مختلفة[1].

ومن الأمور المهمة في هذا الصدد اطلاعه الواسع على كتب اليهود والنصارى (التوراة والأناجيل) ومعرفة ما تشتملان عليه من عقائد وأحكام، ولذلك نراه ينقل عنها وينقدها في تفسيره ومجلته ومؤلفاته الأخرى[2].

---

(١) لمعرفة أسماء الكتب التي قرأها رشيد في العلوم المذكورة يمكن الرجوع إلى كتابه المنار والأزهر ص ١٤٢ وما بعدها.

(٢) رشيد رضا: تفسير المنار جـ ١ ص ٨٢ و ٨٣.

وغني عن البيان الأثر الذي تركته هذه الثقافات والدراسات المنوعة في نشأة رشيد العلمية فقد أعطته رصيداً ضخماً من العلوم والمعارف جعلت رشيداً يتجول في كثير من الميادين العلمية والثقافية البارزة[1]. فقد كان صحفياً وكاتباً ومفسراً، ومحدثاً وشاعراً، ولغوياً أديباً، وخطيباً، واجتماعياً. وفي كل هذه الأعمال كان مصلحاً مستنيراً.

(و) ظروف المجتمع العربي والإسلامي : وهذا عامل له أثر في نشأة رشيد بل في مراحل حياته كلها. فقد كان عصر رشيد عصراً عانى فيه المجتمع العربي والإسلامي ألواناً من الظروف والمشكلات المتنوعة في جميع أوجه حياته السياسية والدينية والثقافية وكذلك الاجتماعية والاقتصادية وغيرها وإن كانت ظروفه السياسية والدينية[2] أكثرها أثراً كما سيأتي :

---

(١) رشيد رضا : المسلمون والقبط والمؤتمر المصري ص ٥١ ـ ٦٠ ط ١٣٢٩هـ.

(٢) إبراهيم العدوي، مرجع سابق ص ٣ ـ ٥ .

ثانياً : الاتجاه السلفي لرشيد

لا بد لنا ونحن في مجال الحديث عن نشأة رشيد رضا أن نشير إلى مرحلة مهمة من مراحل نشأة رشيد رضا. تلك هي مرحلة (التصوف).

وبالرغم من أن (مرحلة تصوفه) مرحلة طويلة نسبياً إلى عمر رشيد أخذت منه زمناً لا بأس به، إلا أنه لم يلبث بتأثير عدة عوامل أن انتقل من هذه المرحلة إلى مرحلة جديدة ومعاكسة لمرحلته السابقة وهي مرحلة (السلفية) وكان لا بد لهذه المرحلة من البروز لأنها المرحلة التي ستهيئه لأخذ زمام الإصلاح العام لأمته الإسلامية في عصره.

وعند استعراض ما كتبه رشيد عن (مرحلة تصوفه) في كتابه (المنار والأزهر) نجد أنه تحدث تحت عنوان «تربيته الصوفية» عن عدة واجهات في هذا المجال[1] لكن يمكن القول أن اتجاهه نحو السلفية مر بمرحلتين هما :-

(١) انظر رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤٦ - ١٦٥ . وتاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١٢٤ ط ١٣٥٠ هـ ومجلة المنار مجلد ٢٠ ص ٣٧٩ .

(أ) طريق الاتجاه نحو السلفية (مدرسة العروة الوثقى) :

نعني بهذا الاتجاه الطريق الذي سلكه رشيد رضا لتغيير اتجاهه في الحياة من متصوف إلى سلفي همه الأول إصلاح حال أمته الإسلامية في جميع أمورها الدينية والدنيوية .

ولا ريب أن أبرز ما يسجله الباحث في هذه المرحلة هو تأثر رشيد (بمدرسة العروة الوثقى) وخاصة القائمين على هذه المدرسة وهما السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده .

أما جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ = ١٨٣٩ ـ ١٨٩٧م) فقد تحمس لإصلاح حال أمته الإسلامية وإنهاضها من كبوتها وكبح جماح دول الاستعمار عليها عن طريق رجوع المسلمين إلى إسلامهم الأول الذي كان عليه سلفهم الصالح .

وما إن حل جمال الدين في مصر حتى وجد تربتها خصبة للإصلاح مثل خصوبة أرضها للزراعة ولذلك امتدت إقامته في مصر وبلغت ثماني سنوات وأخذ في مصر ينشر

مبادىء إصلاحه على كبار رجالات البلاد وعلى عامة الشعب، وفي ذلك الوقت التقى بزميله وخليفته في الإصلاح وهو محمد عبده (١٢٦٦هـ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) وتوسم فيه - وكان محمد عبده طالباً في الأزهر - الذكاء وحسن الاستعداد والحماسة للإصلاح فقربه منه ووثقت الصلة بين هذين الأستاذين ولكن لم تلبث الأحداث في مصر أن حرمت حركة الإصلاح من رأسها المفكر وهو جمال الدين الأفغاني.

وتبلورت هذه الاتجاهات بظهور الحركة العرابية التي قادها (أحمد عرابي) ضد الخديوي وأعوانه من المستعمرين في سبتمبر ١٨٨١م - ١٢٩٩هـ وانضم محمد عبده إلى الثورة وصار من الداعين لها. وضرب الاستعمار الإنجليزي أطنابه بقوة في مصر سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م) وصدرت الأحكام ضد أعضاء الثورة ومن بينهم محمد عبده بالنفي إلى بيروت[1].

أما جمال الدين فكان قد ذهب إلى فرنسا وكتب إلى (محمد عبده) - وكان منفياً حينذاك في بيروت - ليوافيه في

---

(١) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٨٤ و ٣٠٣.

باريس[1]. فاتفقا على أن الحل السليم لتحقيق أهدافهم هو إنشاء جريدة عربية في باريس تنشر أهدافهم في الإصلاح إلى كافة أرجاء العالم الإسلامي، واتفقا على تسميتها (العروة الوثقى) وصدر العدد الأول من جريدة العروة الوثقى في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ الموافق ١٣ من مارس سنة ١٨٨٤م، وبعد سبعة أشهر توقفت في ذي الحجة عام ١٣٠١هـ[2].

ولقد قدر لرشيد رضا أن يتصل بالعروة الوثقى ومدرستها قبل هجرته إلى مصر عن طريق ثلاثة اتجاهات[3]:

أولها : عن طريق المصريين المنفيين عقب الثورة العرابية إلى بلاد الشام.

وثانيها : عثوره على أعداد العروة الوثقى كلها واستنساخها.

وثالثها : لقاؤه بالشيخ محمد عبده في بلاد الشام مرتين.

---

(١) أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٨٦ ط ١٩٧١م.

(٢) رشيد رضا : مصدر سابق جـ ١ ص ٢٨٣ - ٢٨٩.

(٣) جومييه Jpmier, Op, cit, PP. 27, 28.

وذلـك في طرابلس الشام عامي ١٣٠٣هـ و ١٣١٢هـ. وكـان قد استقـر محمـد عبده في بيروت بعد توقف العروة الوثقى .

ويتحـدث رشيد عن أثـر قراءتـه للعروة الوثقى عليه فيقـول : انتقلت بذلك إلى طريق جديد في فهم الدين الإسلامي وهو أنه ليس روحانياً أخروياً فقط بل هو دين روحـاني جسـماني أخـروي دنيوي ، من مقـاصده هداية الإنسان إلى السيادة في الأرض بالحق ليكون خليفة الله في تقرير المحبة والعدل[1] .

ولم يكن رشيد وحيداً في إعجابه وتأثره بالعروة الوثقى ، فقد بلغ من إعجاب بعض نبهاء المسلمين فيها في ذلك الوقت أن كان بعضهم يحفظها عن ظهر قلب[2] .

ولكن الاستعـمار الـبريطاني شدد الـرقابة على وصول أعداد العروة الوثقى إلى مصر والهند حتى استحال وصولها إلى أصحـابهـا إلا القليل النادر وأخيراً احتجبت بعد أن

---

(١) رشيد رضا ، مصدر سابق جـ ١ ص ٨٤ .

(٢) توفيق علي برو ، العرب والترك ص ٧٠ ط ١٩٦٠ .

صدر منهـا ثمانية عشر عدداً ، وهذه الأعداد استنسخها رشيد بخط يده[1] .

وظل رشيد يتابع نشاط جمال الدين ومحمد عبده العلمي والإصلاحي ، وكان من الأمور التي استفادها رشيد رضا من الشيخ محمـد عبـده في هذه المرحلة نقله كتاب جمال الدين الأفغاني «الرد على الدهريين» من الفارسية إلى العربية»[2] .

كما ألف الشيخ محمـد عبده في أثناء إقامته في بيروت كتابه (رسالة التوحيد) •

وقد أفادت رسالة التوحيد رشيد رضا فائدة كبيرة في هذه المرحلة من مراحل عمره خصوصاً مباحثها حول التوحيد والشرك وأنواع البدع التي دخلت على المسلمين فأبعدتهم عن حظيرة التوحيد وقربتهم نحو الشرك، كما استفاد من

---

(١) ذكر لي الدكتور أحمد الشرباصي ـ رحمه الله ـ أثناء لقائي به في القاهرة عام ١٣٩٨هـ بأن في حوزتـه أعداد مجلة العروة الوثقى كلها مكتوبة بخط رشيد رضا نفسه .

(٢) تشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٧ و ١٨ ، مترجم ط ١٩٣٤م .

مباحثها حول طوائف البدع وفرقهم من خوارج وشيعة ومعتزلة وباطنية وغيرها إضافة إلى مباحثها في محاربة التقليد والدعوة إلى الاجتهاد[1] .

ومضت الأيام، ومات جمال الدين الأفغاني (سنة ١٣١٤هـ ـ ١٨٩٦م) في الأستانة دون أن يلقاه رشيد رضا، وعلى الرغم من هذا تأثر رشيد بأستاذه جمال الدين، فتأثر رشيد بالعروة الوثقى ما هو إلا جزء من تأثره بجمال الدين[2] .

ومن دلائل تأثر رشيد رضا بجمال الدين أنه نشر أغلب مقالات «العروة الوثقى» في مجلة (المنار) وكان كثيراً ما يستشهد بكلمات جمال الدين بل ويدافع عنه في بعض ما يؤخذ عليه[3] .

---

(١) محمد عبده : رسالة التوحيد من مقدمة الناشر بقلم رشيد رضا ص (ل) ، و ص ٦٢ و ٦٣ ، ١٥٨ ط ١٣٧٩هـ.

(٢) توفيق الطويل : ضمن مجموعة (الفكر العربي في مائة سنة) جامعة بيروت عام ١٩٦٦م ص ٣١٢.
ورشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة جـ ١ ص ١٤، ط ثانية.

(٣) انظر مجلة المنار مجلد ٦ ص ١٩٧، ورشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام ٨٦/١ .

(ب) سلفية رشيد رضا :

إن أعظم أثر تركته مدرسة العروة الوثقى على رشيد وعلى رأسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده هو انتقاله من اتجاهه الصوفي إلى الاتجاه السلفي الإصلاحي .

ولهذا نرى رشيداً في هذه الفترة تظهر له أعمال تدل على اتجاهه السلفي . ونلخصها بما يأتي :

١ ـ إنكاره على أهل الطرق الصوفية : وتعد هذه الحادثة أول إنكار لرشيد على سلوك أهل الطرق الصوفية .
ففي ذات يوم وبعد صلاة الجمعة أقام أهل إحدى الطرق الصوفية ما يسميه رشيد «مقابلة المولوية» وهي إحدى أعمالهم البدعية .

فيقول: «قلت ما هذا؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف، لم أملك نفسي أن وقفت في بهوة النظار وصحت بأعلى صوتي بما معناه أيها الناس والمسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه لأنه إقرار له وأنه يصدق على مقترفيه قوله تعالى:

﴿ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [آية ٥٧، سورة المائدة].
وإنني قد أديت الواجب عليّ فاخرجوا رحمكم الله» ثم خرج رشيد مسرعاً عائداً إلى المدينة. ورغم أن الذين خرجوا مع رشيد قليلون إلا أن صيحته تلك لاقت صدى في مجتمعات الناس مدة طويلة فمن مؤيد ومعارض[1].

٢ ـ إنكاره ونصحه لرجال الدولة والحكام: فقد كان من تأثير مدرسة العروة الوثقى على رشيد أن أعطت حب النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفسه دفعة قوية إلى الأمام.

ويروي لنا رشيد أمثلة لسعيه الإصلاحي في هذا المجال فقد أنكر على والي بيروت «نصحي بك» الشهير إساءة صلاته في مصلى في طرابلس[2].

ومن هذا النوع أيضاً ما يذكره رشيد من إنكاره على بعض الحكام والأغنياء لبسهم الساعات والسلاسل الذهبية.

---

(١) رشيد رضا، مصدر سابق ص ١٧١، ١٧٢.
(٢) رشيد رضا: المنار والأزهر، ص ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨.

ولم يقتصر جهاد رشيد الإصلاحي في هذه المرحلة على الأمور الخاصة بالعقيدة فتعداها إلى أمور السياسة نفسها .

ويروي لنا رشيد حادثة تدل على جهاده الإصلاحي في هذا الصدد فقد أقيمت حفلة تكريم في طرابلس حضرها متصرف طرابلس (حسن باشا) وكلف رشيد أن يلقي خطاباً يناسب المقام، فاستغل رشيد هذا الخطاب لإظهار ما يجيش بخاطره لإصلاح حال الدولة العثمانية وحث حكامها على العدل والبعد عن الظلم والجور[1] .

٣ ـ وعظه العوام وإرشادهم : وفي هذا المجال يذكر رشيد أنه كان يقرأ للرجال دروساً في مسجد القلمون الذي بناه جد رشيد الثالث ولا يكتفي بهذا بل يذهب إلى أماكن تجمعات الناس العامة كالمقاهي فيجمع من فيها ويعظهم وينصحهم ويبين لهم واجبات المسلم نحو دينه وعقيدته .

ولم يقصر رشيد وعظه على الرجال فقط بل شمل نساء أهل بلدة (القلمون) فقد وضع لهن رشيد دروساً خاصة لوعظهن وإرشادهن وتوجيههن الوجهة الصالحة[1] .

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ، ص ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .

٤ ـ كتاب الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية : وهو كتاب ألفه رشيد في أثناء طلبه العلم في طرابلس رداً على الشيخ (محمد أبي الهدى الصيادي) من مشائخ الطرق الصوفية في عهد رشيد وكان مقرباً من السلطان (عبدالحميد الثاني) وله نفوذ سياسي في الشام. ورغم أن الاتجاه السلفي في الكتاب غير واضح بشكل بارز إلا أن مباحثه تدل على أن رشيد قد انتقد بعض أعمال الصوفية بما يوافق النظرة السلفية[1].

٥ ـ محاربته بدع البناء على القبور وتعظيمها : يمكن القول : أن هذا العمل من رشيد هو بيت القصيد في اتجاه ونشاط رشيد رضا السلفي في هذه المرحلة المبكرة في حياته. فقد أدخل رشيد في مواعظه للناس في المسجد والمجالس العامة الحديث عن بدع البناء على القبور وتعظيمها والتبرك بها والتي كانت منتشرة لا في مجتمعه فحسب بل في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي[2]. ويروي لنا رشيد ثلاثة

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٨٩ ـ ١٩١ .

(٢) رشيد رضا : المصدر السابق ص ١٧٨ ، وانظر : كتاب : مجموعة الرسائل والمسائل النجدية جـ ٣ وهو عدة رسائل لعلماء دعوة الشيخ =

أعمال مهمة في محاربة هذه البدع ، هذا نصها[1] :

الأول : قال : كان أهل قريتنا يتبركون بقبر السيد محمد القصيباني المشهور بالولاية ، وقد كان لقبر القصيباني في مقبرته مشكاتان كان النساء يضعن فيهما الشمع ويوقدانهما ليلاً فمنعتهن منه .

الثاني : يذكر عن هؤلاء النسوة قوله «وكن يوقدن الشمع أو السرج في عليقة على شاطىء البحر ويربطان عليها خرقاً من طالبات الاستشفاء أو غير ذلك لأنه اشتهر أن هناك ولياً اسمه (محمد زكا) هو جد أهل بيت يسمى بيت زكا ـ بتشديد الكاف ـ فمنعت هذا أيضاً .

الثالث : يذكر أنه كان في أرض القرية على بعد بضع دقائق مجرى ماء للمطر يسمى (وادي الولية) وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى (زيتونة الولية) كان كثير من المارة يتبرك بها لما اشتهر من أن هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة آس كبرت وارتفعت ولم يرتفع غيرها من الأس في تلك الأرض

= محمد بن عبدالوهاب ط في المنار سنة ١٣٤٥ هـ ص ٢٩٢ (في الهامش) تعليق لرشيد رضا في هذا الصدد .

(١) رشيد رضا : المصدر السابق ص ١٧٨ و ١٧٩ .

على كثرته لأنهم يقلعونه دائماً للوقود، فأمرت رجلاً ممن كانوا يحضرون درسي فقلعها ليلاً ولم يصب بشيء كما كانوا يتوهمون .

والواقع أن الباحث المدقق في اتجاه رشيد رضا السلفي لا بد أن يلمس أن رشيد رضا قد استفاد من دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية أو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوتهما، صحيح أن هذه الفائدة لم تكن بدرجة كبيرة كما كانت بعد هجرته إلى مصر ولكنها موجودة على كل حال[1].

ونخلص بعد هذا إلى حكم في ثلاث نقاط :ـ

أولها : أن من أهم منابع سلفية رشيد رضا المبكرة تأثره بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وبدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[2].

---

(١) للتوسع في ذلك يمكن الرجوع إلى كتاب رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب لكاتب هذه السطور ص ٢٢٩ ـ ٢٥٢ط الكويت.

(٢) للتوسع في معرفة مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يمكن الرجوع إلى كتاب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي ص ٣٣ ـ ٧٢ ط ١٤٠٧هـ لكاتب هذه السطور، وإلى بحث له نشر في مجلة البحوث الإسلامية العدد ٢١ عام ١٤٠٨هـ بعنوان « حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب » ص ١١٥ ـ ١٥٧ .

ثانيهـــا : أن جريدة العروة الوثقى ومدرستها هي التي وجهت رشيد إلى أفكـــار هذين الإمـــامـين المصلحين وكتبهما ودعوتهما.

ثالثهـا : أن تأثر رشيد بابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب لم يتضح بشكل بارز وجلي إلا بعد هجرته إلى مصر واطلاعه على كتبهما وكتب اتباعهما عن كثب .

ثالثاً : مجلة المنار وسلفيتها

(أ) هجرة رشيد إلى مصر وصدور مجلة المنار :

كان طبيعياً أن يتجه رشيد إلى صحبة الزعيم الثاني لمدرسة العروة الوثقى وهو (الشيخ محمد عبده) بعد أن فاتته صحبة السيد جمال الدين، وأيد اتجاهه ذلك ضيق رشيد بكبت الحريات في بلاد الشام وعدم استطاعته التعبير عن آرائه كما يهوى وعجزه عن إصدار صحيفة ينشر فيها نفثات قلمه وخطرات فكره، وهنا فكر في الهجرة إلى مصر. مقر الأستاذ الإمام محمد عبده[1].

ويسر الله أسباب السفر لرشيد ، وأعلم رشيد أبويه به فرحبا بعد لأي وتكتم رشيد أمره واحتال لخروجه بما احتال حتى لا تعلم الحكومة به فتمنعه.

وركب رشيد السفينة من بيروت إلى الأسكندرية فوصل ميناءها مساء الجمعة ٨ من رجب سنة ١٣١٥ هـ الموافق ٣

---

(١) مجلة المنار : المجلد ١٢ ص ٨١٩ .

من يناير سنة ١٨٩٨م وبقي نحو أسبوعين متنقلاً بين الأسكندرية وطنطا ودمياط .

وفي تنقله بين هذه المدن اتصل بكبار شخصياتها وتعرف على حالتها الدينية والاجتماعية[1] .

وفي يوم السبت ٢٣ من رجب من السنة المذكورة توجه رشيد إلى القاهرة وفي ضحوة يوم الأحد توجه لزيارة أستاذه الشيخ محمد عبده، وشرح له هدفه من هجرته إلى مصر. وتطرق الحديث إلى ما سرى في عقائد المسلمين من الوثنية وكون أظهرها هذه الاحتفالات الدينية المسماة بالموالد. فذكر رشيد لشيخه ما رآه بطنطا في مسجد السيد البدوي ما لم ير مثله من الطواف بقفص القبر كما يطاف بالكعبة، وطلب الحوائج منه. فذكر الشيخ محمد عبده أن أحد وجهاء المصريين كان عنده في أثناء مولد السيدة زينب فذكر

---

(١) أحمد محمد شاكر : أستاذنا الإمام محمد رشيد رضا ـ مجلة المقتطف مجلد ٨٧ (١٩٣٥م) ص ٣٢٠ .
ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٩٩٨ .
ورسالة من رشيد رضا إلى صديقه عبدالقادر المغربي : مجلة الرسالة جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) ص ١٤٥٣ .

له بأنـه ذاهب لزيارة السيدة. فأنكر عليـه الشيخ محمد عبده ذلك ونهاه عن الذهاب[1].

وبذلك نرى إلى أي حد كان الاتجاه السلفي عميقاً بين الأستاذ وتلميذه وصديقه (رشيد رضا).

وحينما هاجر رشيد إلى مصر كان في نيته إصدار مجلة إسلامية لبث أفكاره وأفكار أستاذه الإصلاحية، وكان قد سبقه شهرة في ميدان الكتابة فقد حرر مقالات عديدة في جريدة طرابلس[2].

ورأى رشيد أن يصرح لأستاذه بعزمه على إنشاء صحيفة إصلاحية ويستشيره في ذلك، فاشترط الشيخ محمد عبده على إنشاء هذه الجريدة ثلاثة أمور:

أولها: ألا تتحيز لحزب من الأحزاب.

وثانيها: ألا ترد على جريدة من الجرائد التي تتعرض لها بذم وانتقاد.

وثالثها: ألا تخدم أفكار أحد من الكبراء.

---

(١) رشيد رضا: مصدر سابق جـ ١ ص ٩٩٩ و ١٠٠٠.

(٢) إبراهيم العدوي: رشيد رضا الإمام المجاهد ص ١٣٤.

ثم شاور رضا أستاذه الشيخ محمد عبده في الاسم الذي سيطلقونه على الجريدة، ويقول رشيد في ذلك: «فذكرت له اسم المنار مع أسماء أخرى ليختار منها أو غيرها فاختار اسم المنار وكان أحبها إليَّ لفظاً ومعنى»[1].

وصدر العدد الأول من (مجلة المنار) في ٢٢ من شوال سنة ١٣١٥هـ الموافق ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨م. وكانت أسبوعية[2]، ثم نصف شهرية، ثم اضطرت إلى أن تكون شهرية وأحياناً تصدر تسعة أعداد في السنة بدلاً من اثني عشر عدداً[3].

وحسب رشيد رضا أنه استطاع ـ وهو فرد ـ أن يصدر من هذه المجلة ما يزيد على أربعة وثلاثين مجلداً تزيد صفحات كل مجلد ـ في الغالب ـ على ألف صفحة، وصدر من المجلد الخامس والثلاثين عددان تم صدور الأخير منهما بعد وفاة رشيد رضا.

---

(١) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ١٠٠٢ ـ ١٠٠٥.

(٢) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٩١٣.

(٣) Jomier, Op, cit, P. 38.

(ب) أهداف مجلة المنار وموضوعاتها :

لعل خير ما يحدد لنا أهداف مجلة المنار بشكل بارز هي افتتاحية العدد الأول من مجلة المنار الذي افتتحه رشيد رضا .

ويمكن تلخيص تلك الأهداف بما يأتي :

١ ـ بيان أمراض الأمة الإسلامية الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وأسبابها ووصف العلاج الناجح لها اعتماداً على تعاليم الإسلام الذي كان عليه السلف الصالح .

٢ ـ مقاومة كل التحديات الخاصة بالتغريب والغزو الثقافي الأجنبي مع رد شبهات أعداء الإسلام ودحضها، وكان للمنار مواقف مشرفة مع دعاة هذا التغريب أمثال سلامة موسى ومحمود عزمي وطه حسين ، وعلي عبدالرازق .

٣ ـ الاهتمام بإصلاح الأزهر بتجديد طريقة التربية والتعليم فيه. وتخليصه من بعض الدراسات التي لا تتفق مع جوهر الإسلام مثل المحاكاة الجدلية وعلوم

الكلام المنحرفة عن هدي الإسلام وإدخال العلوم العصرية المفيدة فيه .

٤ ـ بالرغم من أن منهاج المنار السياسي لم يكن واضحاً بشكل بارز إلا أن المنار اهتم بالمحافظة على الخلافة الإسلامية ودعا إليها، وفنَّد ما كتب عنها في كتابات علي عبدالرازق وما كتبه الأتراك أتباع أتاتورك وكتب رشيد في ذلك مقالات عديدة .

وعند تصفح أي جزء من مجلة المنار، نجد أن هناك أبواباً رئيسة تسير عليها المجلة في أكثر أعدادها. وعادة ما يبدأ عدد المنار بقسم من تفسير القرآن الكريم المسمى بـ (تفسير المنار) ثم باب (فتاوى المنار) وهي إجابات لأسئلة مختلفة ترد على رشيد رضا من قراء مجلته.

ومن أبواب مجلة المنار أيضاً (باب أخبار العالم الإسلامي) يذكر فيها أهم الأحداث في الأقطار الإسلامية كنجد والحجاز والهند واليمن ومصر والعراق وسوريا وفلسطين وغيرها .

وهناك أبواب أخرى لمجلة المنار ـ مثل باب بعنوان «آثار علمية وأدبية»، وباب «تقريظ المطبوعات، وباب «تراجم

الأعيان»، وباب «التربية والتعليم»، وباب «المراسلة والمناظرة».

ومن أبواب المنار المهمة باب «الانتقاد على المنار».

ونورد فيما يلي نموذجاً من انتقاد القراء على «مجلة المنار» وسياستها الفكرية الإصلاحية والاقتراحات التي يقدمها القراء في انتقاداتهم وتعليق المنار على ذلك. وصاحب هذا النموذج هو الشيخ (عبدالرحمن بن ناصر السعدي)[1] ـ من

---

(١) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي: ولد في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٠٧هـ وتلقى فيها علوم الدين الإسلامي على علمائها وخاصة الشيخ (صالح بن عثمان القاضي) قاضي عنيزة. ونبغ فيها، ولم يلبث أن جلس للتدريس في المسجد الجامع الكبير بعنيزة، وكان مغرماً بدراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وصار من كبار علماء نجد المجتهدين، وله مؤلفات كثيرة في التفسير والتوحيد والفقه وغيرها، ودرس على يده علماء مشهورون ـ توفي عام ١٣٧٦هـ.

انظر: عبدالله بن عبدالرحمن البسام: علماء نجد خلال ستة قرون جـ ٢ ص ٤٢٢ ـ ٤٣٢ ط ١٣٩٨هـ، وعبدالرحمن آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم ٣٩٢ ـ ٣٩٧ ط ١٣٩٤هـ. ومحمد القاضي: روضة الناظرين في تراجم علماء نجد جـ ١ ص ٢١٩ ـ ٣٢٠ ط ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

كبار علماء نجد في عصره ، ورسالة الناقد (الشيخ عبدالرحمن السعدي) موجهة من عنيزة إلى القاهرة بتاريخ رجب عام ١٣٤٦هـ. وقد افتتحها الناقد بمدح رشيد والثناء على جهوده الإصلاحية. والإشادة بها.

ثم يدخل الشيخ عبدالرحمن السعدي بعد الديباجة والإشادة بعرض اقتراحاته فيقول «ثم إننا نقترح على جنابكم أن تجعلوا في مناركم المنير بحثاً واسعاً لأمر نراه أهم البحوث التي عليها تعولون وأنفعها لشدة الحاجة بل دعاه الضرورة إليه. ألا وهو ما وقع فيه كثير من فضلاء المصريين وراج عليهم من أصول الملاحدة والزنادقة من أهل وحدة الوجود والفلاسفة بسبب روجان كثير من الكتب المتضمنة لهذه الأمور ممن يحسنون بهم الظن ككتب ابن سينا وابن رشد وابن عربي ورسائل إخوان الصفاء وبعض الكتب التي تنسب للغزالي وما أشبهها من الكتب المشتملة على الكفر برب العالمين والكفر برسله وكتبه واليوم الآخر وإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام.

ثم قال: «وكذلك يبحث كثير منهم في الملائكة والجن والشياطين ويتأولون ما في الكتاب والسنة من ذلك

تأويلات تشبه تأويلات القرامطة الذين يتأولون العقائد والشرائع. فيزعمون أن الملائكة هي القوى الخيرية التي في الإنسان فعبر عنها الشرع بالملائكة. كما أن الشياطين هي القوى الشريرة التي في الإنسان فعبر عنها الشرع بذلك.

ولا يخفى أن هذا تكذيب لله ولرسله أجمعين. ويتأولون قصة آدم وإبراهيم بتأويل حاصله أن ما ذكر الله في كتابه عن آدم وإبراهيم ونحوهما لا حقيقة له وإنما قصد به ضرب الأمثال».

ثم يقول: «وقد ذكر لي بعض أصحابي أن مناركم فيه شيء من ذلك وإلى الآن ما تيسر لي مطالعته. ولكن الظن بكم أنكم ما تبحثون عن مثل هذه الأمور إلا على وجه الرد لها والإبطال كما هي عادتكم في رد ما هو دونها بكثير».

أما رد رشيد رضا في المنار فقد بدأه بالإشارة إلى دور المنار في محاربة أعداء الإسلام. كما وضح رشيد رأيه في تأثير الأفكار الفلسفية فقال: «إننا لا نألوا جهداً في الرد على كل ما نطلع عليه من البدع المخالفة لكتاب الله والصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الدعوة إليهما على الوجه الذي كان عليه جمهور السلف الصالح». ثم

يوضح رشيد الفرق بين الأفكار الفلسفية، وبين علوم الحضارة النافعة فقال: ويجب عليكم أن تفرقوا بين علوم الكون التي ندعو إليها وبين الفلسفة قديمها وحديثها. فالفلسفة آراء ونظريات فكرية، وعلوم الكون عبارة عن العلم بما أودع الله تعالى في خلقه من المنافع كمنافع الماء وبخاره والهواء وما تركب منه ومنافع الكهرباء التي منها التلغراف والتليفون وغيرهما» .

ثم يشرح رشيد جو الحرية الذي يعيش فيه المنحرفون في مصر، ويمثل لهؤلاء بطه حسين، ثم يشرح رشيد السبب في وجود بعض التأويلات لبعض الآيات القرآنية في تفسير المنار فيقول: إننا نلم بتأويل بعض الآيات لأجل الدفاع عن القرآن ورد بعض الشبهات التي يوردها الفلاسفة أو غيرهم عليها حتى لا يكون لهم حجة مقبولة عليها مع تصريحنا بأن اعتقادنا الذي ندعو إليه ونرجو أن نموت كما نحيا عليه هو اتباع مذهب السلف في كل ما يتعلق بعالم الغيب من الإيمان بالله وصفاته وملائكته وجنته وناره، والتأويل قد يكون المنقذ الوحيد لبعض الناس من الكفر وتكذيب القرآن[1] .

---

(١) انظر: مجلة المنار، مجلد ٢٩ ص ١٤٣ ـ ١٤٧ .

(جـ) سلفية مجلة المنار ونهايتها :

إن من أهم وأبـرز أهداف مجلة المنار تصحيح عقيدة المسلمين مما علق بها من أنواع البدع والخرافات كبدع البناء على القبـور وتعـظيمهـا والتـبرك بأصحـابهـا والاستغـاثة بالمخلوقـين فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ومحاربة أنواع الشعـوذة والـدجـل الـذي يقـوم به جماعـة الخرافيين في مجتمعات عامة المسلمين لاستغلالهم وابتزاز أموالهم وإفساد عقيدتهم. كما أنها تدعو إلى مذهب السلف في أسماء الله وصفـاتـه وفي أمور الغيب كلها ولا تلجأ إلى التأويل إلا لضرورة ملحة ـ كما مر آنفاً ـ وهي أيضاً تدعو إلى محاربة التقليد والمقلدين الذين استبدلوا بالنظر في الكتاب والسنة النظر في كتب شيوخهم والتمسك بما جاء بها من خير وشر[1].

ولو أردنا الآن أن نستعرض أمثلة للاتجاه السلفي لمجلة المنار لطال بنا المقام ولكننا آثرنا أن نعرض لاتجاهين رئيسين من سلفية المنار وهما:

---

(١) مجلة المنار، مجلد ٢٢ ص ٣٦٦.

الأول : دفاع المنار عن زعماء السلفية : كان من الطبيعي وقد خطت المنار لها هذا الاتجاه السلفي أن تقف أمام كل من يريد النيل أو التشويه ممن تعتبرهم المنار الأسوة الحسنة لها في اتجاهها السلفي من رواد الإصلاح السلفي. ولعل أبرز هؤلاء الرواد المصلحين الذين ركزت عليهم مجلة المنار في اتجاهها السلفي زعيمان مصلحان يعتبران من أبرز زعماء الإصلاح السلفي في تاريخ المسلمين وهما : شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية. فقد ملأت المنار صفحاتها بالإشادة بهذين الزعيمين واستغلت كل فرصة أو مناسبة لبيان دورهما الطليعي في نهضة المسلمين الإصلاحية[1].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فتعتبره مجلة المنار من العلماء المصلحين الذين لم يسمح الزمان لهم بنظير، كما تعتبره من مجددي القرن السادس، والسابع الهجريين[2].

كما كتب رشيد رضا بعض مقالات في مجلة المنار لتحليل ورد التهم التي وجهها إلى ابن تيمية كل من الرحالة ابن

---

(١) مجلة المنار، مجلد ٣٠ ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق مجلد ١٢ ص ٣٩٤ ، ومجلد ١٨ ص ٣٢٨ .

بطوطة وابن حجر الهيثمي وفند أقوالهما تفنيداً علمياً. وفي معرض تفنيده لهجوم ابن حجر الهيثمي على ابن تيمية. قال رشيد رضا في المجلد الثاني عشر من المنار «إن كتب ابن تيمية أكبر شهادة من كل أولئك العلماء على كون الرجل وصل إلى رتبة الاجتهاد المطلق وقصارى ابن حجر أنه وصل إلى رتبة المرجحين في فقه الشافعية.

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي[1]

أما الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية: فيمكن القول: إن مجلة المنار تعتبر من أكبر المدافعين عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته الإصلاحية السلفية لا في مصر وحدها بل في العالم الإسلامي بأسره.

وكان دفاع رشيد رضا في مجلة المنار عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته قد بدأ من عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٣م) أي بعد مضي خمس سنوات فقط من عمر المنار ففي هذه السنة أقيمت في مصر احتفالات بمناسبة مرور مائة عام على ملك أسرة محمد علي على مصر وزينت المساجد والجوامع بالأنوار، فهاجم رشيد ذلك العمل وقال إن

(١) انظر: مجلة المنار مجلد ٣٤ ص ٢٧٨ ومجلد ١٢ ص ٦٢١ - ٦٢٣.

المساجد أسست للعبادة ثم تطرق إلى مساوىء سياسة محمد علي ومنها قتاله الوهابيين وقضاؤه عليهم وهم الذين نهضوا بالإصلاح الديني في جزيرة العرب مهد الإسلام ومعقله[1].

كما ورد في المجلد السادس والعشرين من مجلة المنار ما نصه «هذه نبذة صحيحة من تاريخ مجدد الإسلام في القرن الثاني عشر محمد بن عبدالوهاب، وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الإصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على أنه يشبه نشأة الإسلام الأولى وأنه لولا الموانع التي اعترضته لجدد للإسلام مجده الديني والدنيوي معاً. وأعظم تلك الموانع مقاومة الدولة العثمانية له ومساعدة محمد علي باشا لها على قتال الوهابيين وتدمير قوتهم. وكان المحرك الخفي لهذه المقاومة دولة الدسائس الشيطانية (يقصد بها بريطانيا) وعدوة الشرق ولا سيما الأمة الإسلامية»[2].

الثاني: مقالات وموضوعات سلفية نشرت في المنار:
لما كانت المنار مجلة سلفية كان هدفها في ذلك نشر مذهب

(١) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١، ص ٥٨٣.

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٦ ص ٢٠٥.

السلف الصالح بين المسلمين بكل ما أوتيت من قوة الكلمة والنشر. ومن هنا ظهرت في مجلة المنار مجموعة ضخمة من المقالات والموضوعات التي عالجت هذه الناحية واستهدفتها. ويمكن القول أن أغلب هذه الموضوعات ركزت على نفس الأساسين اللذين بنى عليهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته وهما (إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن كل ما ينافي ذلك والدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد الأعمى)[1].

(أ) ففي مجال التوحيد: توسعت المنار في الدعوة إلى إخلاص العبادة بكل أنواعها لله تعالى وحاربت ما ينافي ذلك من أنواع البدع والخرافات والشركيات مثل بدع القبوريين الشركية. وبدع الطرق الصوفية وبدع الدجالين والمشعوذين وخرافاتهم[2].

(ب) أما في مجال دعوة المنار إلى الاجتهاد ومحاربتها للتقليد. فهي لا تقل مقالاتها في هذا الموضوع عن موضوع (التوحيد) فلا تمر مناسبة إلا وينحى المنار باللائمة على

---

(١) انظر مثلاً: مجلة المنار مجلد ٢٢ ص ٤١٠.

(٢) مجلة المنار مجلد ٢٧ ص ٥٠٢ والمجلد ٨ ص ٧٦٠.

أولئك المقلدين الذين لم يفهموا الإسلام على حقيقته وإنما اهتموا بكتب شيوخهم أكثر من اهتمامهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية وآثار السلف الصالح .

ويهاجم المنار طرق التقليد ويقول: «أجمع سلف الأمة ومنهم الأئمة الأربعة على تحريم التقليد ونصوصهم في ذلك مشهورة»[1] .

أما عن نهاية مجلة المنار : فقد استمرت في الصدور على الرغم من الصعوبات التي واجهتها إلى أن مات رشيد رضا في ٢٣ من جمادى الأولى (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) بعد أن أكملت المنار مجلدها الرابع والثلاثين وشرعت في المجلد الخامس والثلاثين وصدر منه جزءان[2] .

وقام محي الدين رضا شقيق رشيد بإصدار الجزء الثالث والرابع ثم توقفت المنار مدة سنتين ثم استلم زمام مجلة المنار (جماعة الإخوان المسلمين) بزعامة الشهيد الشيخ حسن البنا، الذي تولى رئاسة تحريرها، فصدر الجزء الخامس في

---

(١) مجلة المنار ١٢ ص ٦١٨ ، والمجلد ٩ ص ١٣٨ ، ومجلد ١٨ ص ٤٢٩

(٢) مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٦١ .

غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨هـ (١٨ يوليو سنة ١٩٣٩م).

ولا غرو فقد كان مؤسسها الشيخ حسن البنا ذا علاقة وطيدة مع السيد رشيد منذ شبابه الباكر[1].

على أي حال فقد فرح المسلمون ببعث المنار من جديد باحتضان جماعة الإخوان المسلمين لها. ولكن ـ مع الأسف ـ لم تستمر تلك الفرحة طويلاً فبعد أن صدر من مجلة المنار ـ في عهدها الجديد ـ ستة أعداد فقط كانت تتمة للمجلد الخامس والثلاثين توقفت عن الصدور مرة أخرى وذلك في شعبان عام ١٣٥٩هـ (سبتمبر ١٩٤٠م) وكان هذا التوقف النهاية الحتمية لمجلة المنار. وبذلك أسدل الستار على مجلة المنار العظيمة بعد أن مكث مرفوعاً أكثر من أربعين سنة من الزمان.

أما سبب توقفها فقد ذكرت مجلة الشهاب المصرية أن مجلة المنار توقفت بقرار من حكومة حسين سري باشا عام

---

(١) ريتشارد ب. ميتشل: الأخوان المسلمون دراسة أكاديمية ـ ترجمة عبدالسلام رضوان ط. أولى، القاهرة ١٩٧٧م ص ٢٧ ـ ٣١.

١٩٤٠م بسبب الحرب العالمية[1] الثانية ويبدو أنه بضغط من انجلترا المستعمرة لمصر حينذاك .

ومهما يكن من أمر فإن مجلة المنار قد أحدثت ـ في مدة الأربعين سنة التي صدرت فيها ـ أكبر الأثر في المحيط الإسلامي ، فقد أحدثت نهضة صحفية دينية واسعة ، ونهضة سلفية كان لها أكبر الأثر في عقيدة المسلمين وكانت بحق أكبر قدوة لكل مجلة إسلامية إصلاحية جاءت بعدها[2] .

---

(١) مجلة الشهاب ـ العدد الأول المحرم ١٣٦٧هـ نوفمبر ١٩٤٧م ، ص ١٠٢ .

(٢) أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر ص ٨٥ ط ١٩٧٧م .
وشكيب أرسلان : المرجع السابق ص ١٥ .
وعلي الطنطاوي : على طريق الهجرة ، مجلة الدعوة المصرية ـ العدد ٣١ السنة ٢٧ من المحرم ١٣٩٩ هـ ديسمبر ١٩٧٨م ص ١٧ .

رابعاً : تفسير المنار وسلفيته

(أ) إصدار تفسير المنار وميزاته وأهم المآخذ عليه :

يذكر رشيد أنه اقترح على شيخه ـ قبل صدور مجلة المنار ـ أن يكتب تفسيراً أو يلقي دروساً في التفسير ينفخ فيه من روح ومبادىء العروة الوثقى ، ولكن الشيخ محمد عبده تأنى . ثم أصدر رشيد رضا مجلة المنار بتشجيع من الشيخ محمد عبده للدعوة إلى الإصلاح الإسلامي . فعاد رشيد رضا يعرض فكرة تفسير القرآن وإلقاء دروس في الجامع الأزهر وذلك على شيخه محمد عبده ودارت مناقشة بين رشيد رضا ومحمد عبده في هذا الصدد . ولم يزل رشيد رضا بأستاذه حتى أقنعه بقراءة دروس في التفسير في الأزهر، فاقتنع بذلك وبدأ الدرس في غرة المحرم سنة ١٣١٧هـ.

وقد استمر الشيخ محمد عبده في دروسه في التفسير بالأزهر حتى منتصف المحرم سنة ١٣٢٣هـ حيث بلغ الآية رقم (١٢٦) من سورة النساء وهي قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾.

فقرأ بذلك زهاء خمسة أجزاء في ست سنين، إذ توفي في جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)[١].

ويذكر رشيد أنه كان يكتب في أثناء إلقاء الدرس مذكرات يودعها ما يراه أهم ما قاله الشيخ محمد عبده في دروسه ويزيد عليها ما يراه في وقت الفراغ. ثم اقترح عليه بعض قراء المنار في مصر وغيرها نشره في مجلة المنار وقد استجاب رشيد لطلبهم[٢].

وبعد وفاة الشيخ محمد عبده رأى رشيد أن عليه إكمال التفسير فمضى في ذلك على طريقته ومنهجه ولم يقتصر على نشره في المنار بل طبعه مستقلاً في أجزاء متعددة وعرف باسم تفسير المنار لنشره على صفحات مجلة المنار[٣].

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ١ ـ ١٦ . ط ١٣٦٧هـ.

(٢) تفسير المنار الجزء الأول ص ١ ـ ١٦ وجـ ٥ ص ٤٤١ ط ثانية عام ١٣٦٧هـ، ورشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٧٦٥ ـ ٧٦٨. ومجلة المنار مجلد ٣ ص ١٣٠ .

(٣) تشارلز آدمز: الإسلام والتجديد في مصر ـ مترجم ص ١٨٩ ط ١٣٥٣هـ.

ولقد اتبع رشيد رضا في عرضه لتفسير المنار طريقة خاصة، فهو يتحدث في أول السورة عن سبب نزولها ويشير إلى المناسبة بينها وبين السورة التي قبلها بلا تكلف.

ثم يورد للسورة خلاصة يضمنها ما اشتملت عليه من العقائد والأحكام الإسلامية، ثم يمضي في تفسير السورة آية آية.

وهناك أموراً امتاز بها رشيد رضا في تفسيره وأهمها:

١ ـ العناية بدعم التفسير بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار الواردة المتعلقة بالآية أو السورة. وقد ساعد رشيد على ذلك توسعه في معرفة كثير من الأحاديث وأسانيدها ونقد رجالها. حتى صار حجة في الحديث النبوي.

٢ ـ كان يعتني بذكر مقدمات مهمة للسورة، كما يذكر خلاصة موجزة لها يتحدث فيها عن الفوائد والقواعد والأحكام الشرعية التي اشتملت عليها[1].

---

(١) عبدالله محمود شحاته: منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن، ص ٢٢٣ ط ١٣٨٥هـ.

٣ ـ العناية بالعلوم الاجتماعية والطبيعية والإشارة إليها في الأماكن المناسبة لها من التفسير .

٤ ـ ذكر المسائل الخلافية وترجيح بعض الأقوال فيها على بعض .

٥ ـ العناية والتوسع في رد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الملاحدة والمستشرقين أو الجاهلين ممن يدعون الإسلام .

٦ ـ نقل رشيد رضا بعض أقوال المفسرين في الأمور التي يحتاج إلى نقلها فيه[1] .

٧ ـ نبه رشيد رضا إلى بعض أخطاء شيخه محمد عبده في تفسيره بأدب ووفاء[2] ففي سورة الفاتحة مثلاً يذكر الشيخ محمد عبده أن صفة الرحمة محالة على الله تعالى إذا كانت بمعنى ما يلم من ألم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الإحسان إلى غيره وأن المعنى المقصود منها هو أثرها وهو الإحسان. ولكن رشيد يعلق على رأي شيخه هذا بقوله: «ما نقلناه عن

(١) حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٢٧ .

(٢) محمد أبو زهرة : تقديمه لكتاب عبدالله محمود شحاته : المرجع السابق ص ط ، وى .

شيخنا في معنى الرحمة تبع فيه متكلمي الأشاعرة والمعتزلة ومفسريهم كالزمخشري والبيضاوي ذهولاً» ثم يقرر مذهب السلف الصالح في إثبات الصفات كلها لله تعالى وإمرارها كما جاءت من غير تشبيه بصفات المخلوقين[1].

٨ ـ لم يكن رشيد رضا بالدرجة التي كان عليها أستاذه محمد عبده في جنوحه إلى التفسير بالعقل والرأي في كثير من المواضع[2].

٩ ـ امتاز رشيد رضا في تفسيره بالتطويل والإطناب والإسهاب، بينما كان شيخه محمد عبده يميل في تفسيره إلى التركيز والإيجاز.

١٠ ـ توسع بعض الشيء في شرح معاني بعض الكلمات الغريبة والعناية بالجوانب البلاغية. والإشارة إلى القواعد النحوية. وإيراد شواهد أو نصوص أدبية تتصل بالموضوع.

ولكن إذا كانت مدرسة «تفسير المنار» قد جعلت من

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٧٦.
وانظر: تفسير المنار جـ ١ ص ٧٦ و ٧٧ و ٤٧٠ و جـ ٣ ص ٢٧٦.

(٢) أحمد الشرباصي: مرجع سابق ص ١٣٣.

أهدافها التوفيق بين الدين والعقل. فإنها قد أصابها طائف من المبالغة حيث أسرفت أحياناً في الحذر والاحتراس من تقبل الغيبيات والتسليم بها فحاولت تأويل هذه الغيبيات أو إضعاف الروايات الواردة فيها من السنة النبوية. ورغم أن أكثـر هذه التأويلات قد ساقها رشيد رضا في تفسيره حكاية عن شيخه (محمد عبده) إلا أن رشيد رضا قد أيّد بعضها، وسكت عن بعضها الآخر وحاول التخفيف من حدة بعضها أيضاً[1].

ومن أمثلة ذلك:

- تأويل مفهوم الملائكة[2].
- تأويل سجود الملائكة لآدم[3].
- تأويل معصية آدم[3].
- تأويل خلق عيسى عليه السلام.

---

(١) غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر ص ٦٥ ـ ٧٥ ط ١٣٨٩هـ.
وانظر: عبدالله محمود شحاته: مرجع سابق ص ٨٣ ـ ١٢٧.

(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٩ وما بعدها وص ٢٨٣ (عن تأويل معصية آدم).

- تأويل الجن[1].
- نفي السحر.
- تأويل النفاثات في العقد[2].
- تأويل طير الأبابيل في سورة الفيل.
- تأويل المعجزات أو إنكارها: فرشيد رضا ينكر المعجزات الكونية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيسميها مرة شبهات ويطعن في الأحاديث ويصفها بالضعف تارة وبالوضع أخرى، وقد سار على ذلك في جميع مؤلفاته من مجلة المنار وتفسير المنار وكتاب الوحي المحمدي[3].

والواقع أن الباحث في شخصية رشيد السلفية يعجب كيف وصل اتجاه رشيد العقلي إلى هذا الحد وهو الذي يقول «أخطأ من قالوا إن الدليل العقلي هو الأصل فيرد إليه

---

(1) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٠٩ وما بعدها وص ٩٦ (عن تأويل الجن).

(2) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٥٠ وما بعدها وص ٣٩٩ (عن نفي السحر) وحسيب السامرائي: مرجع سابق ص ٤٤٨.
وتفسير جزء عمّ ص ١٨٣ وما بعدها، ط. المنار ١٣٢٩هـ.

(3) حسيب السامرائي: مرجع سابق ص ٣١٣ - ٣٢٤.

الدليل السمعي ويجب تأويله لموافقته مطلقاً[1].

أما رشيد فيعلل ذلك بقوله: «مثل هذه التأويلات تقطع ألسنة هؤلاء الواهمين المغرورين دون الاعتراض على النصوص أو تزيل شبهاتهم، فلا يصعب عليهم الجمع بين العلم والدين. ولأن يكون أحدهم متديناً مؤولاً خير من أن يكون زنديقاً أو معطلاً»[2].

وهذا التعليل الذي أورده رشيد رضا كسبب لهذه التأويلات تعطينا دليلاً على حسن نية رشيد وأستاذه محمد عبده وأنهما اجتهدا فأخطئا فلهما أجر واحد إن شاء الله.

وإذا كان لنا من تعليق على تعليل رشيد رضا السابق لتأويلاته في تفسير المنار فهو أن نقول «أنه لا يجوز إخضاع مبادىء الإسلام وعقائده لأفكار هؤلاء المعترضين بزعم محاولة اجتذابهم إلى حظيرة الإيمان على حساب العقيدة الإسلامية ومبادئها، يقول الله تعالى:

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٥٣، وانظر: محمد عبدالرازق حمزة، ظلمات أبي رية ص ٢٣٦، ٢٣٧، ط ١٣٧٨هـ.

(٢) مجلة المنار، المجلد ١٨ ص ٦٠٣، ورشيد رضا: المنار والأزهر ص ٦١.

﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1]

والإسلام في غنىً عن مثل هؤلاء .

وبالإضافة إلى ذلك فقد عدّ بعض الباحثين[2] من مآخذ رشيد رضا في تفسير المنار تعصبه لرأيه في استنباط الأحكام، وإن خالف جمهور الفقهاء. ومع إبداء رأيه يشتد في الحملة العنيفة على المخالفين له . ويضربون مثالاً واحداً على ذلك بما قرره في تفسيره لآية التيمم في سورة النساء من أن المسافر يجوز له التيمم ولو كان الماء بين يديه ولا علة تمنعه من استعماله إلا كونه مسافراً، وهو رأي مخالف لجمهور فقهاء المسلمين .

ثم يقول إلا أن من أعجب العجب غفلة جماهير الفقهاء عن هذه الرخصة الصريحة في عبارة القرآن[3] .

(ب) السلفية في تفسير المنار ونهايته :

يمكن القول إن السلفية في تفسير المنار تشبه في معالمها

(١) سورة البقرة آية ١٣٧ .

(٢) حسيب السامرائي : مرجع سابق ص ٤٣٥ ، ٤٣٩ .

(٣) تفسير المنار جـ ٥ ص ١٢٠ و ١٢١ .

إلى حد كبير سلفية مجلة المنار، ولا غرو فمؤلفهما واحد. كما أن مجلة المنار كانت وعاء أميناً لنشر تفسير المنار على صفحاتها في كل عدد من أعدادها إلا قليلاً وكان يضع عنوان تفسيره في المجلة « تفسير سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي». وأول ما ينبغي ذكره في سلفية تفسير المنار تقرير رشيد رضا وتصريحه بأنه على مذهب السلف الصالح في أسماء الله وصفاته وعالم الغيب. وذلك بقوله: « وأقول أنا ـ مؤلف هذا التفسير ـ إنني ولله الحمد على طريقة السلف وهديهم عليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله تعالى » ثم قال « وإنما أذكر من كلام شيخنا ومن كلام غيره ومن تلقاء نفسي بعض التأويلات لما ثبت عندي باختياري أن ما تنشر في الأمة من نظريات الفلاسفة ومذاهب المبتدعة المتقدمين والمتأخرين جعل قبول مذهب السلف واعتقاده يتوقف في الغالب على تلقيه في الصغر بالبيان الصحيح وتخطئة ما يخالفه، أو طول ممارسة الرد عليهم » ثم قال: « ولا نعرف في كتب علماء السنة أنفع في الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخي الإسلام ابن تيمية وابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ، وإنني أقول على

نفسي: إنني لم يطمئن قلبي بمذهب السلف تفصيلاً إلا بممارسة هذه الكتب »[1].

والسلفية التي تظهر في تفسير المنار تبدو في أمرين مهمين:

أولهما: الدعوة إلى التوحيد وإخلاصه لله تعالى والبعد عن كل ما ينافي ذلك من أنواع الشركيات المختلفة التي ينشرها مبتدعة القبوريين وأهل الطرق الصوفية[2] ونحوهم.

وثانيهما: الدعوة إلى الاجتهاد، وأن بابه مفتوح لم يقفل والنهي عن كل أنواع التقليد الأعمى، مع الحرص على التمسك بنصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح.

وإذا أردنا أن نعرف اهتمام تفسير المنار بهذين الأمرين فما علينا إلا أن نتتبع في الفهرس الموجود في بداية كل جزء من أجزاء تفسير المنار كلمات (التوحيد ، الشرك ، البدع ، الخرافات ، الاجتهاد ، التقليد) ونحوها.

والباحث في تفسير المنار يلاحظ اهتمام التفسير بهذه

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٢) Jomier , Op, cit, PP. 247-249.

الأمور اهتماماً بارزاً. فلا يترك أية مناسبة لها إلا ويشير إليها بتفصيل وإيضاح.

وكثيراً ما يورد رشيد رضا في تفسير المنار بعض المعتقدات والمبادىء التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإن لم يصرح بذلك لنستمع إليه يقول: «وذكر بعض الفقهاء أنه يجب هدم ما بني من المساجد والقباب على قبور كثير من الأئمة وآل البيت وأئمة الفقه وغيرهم من الصالحين، وارتكبوا فيه المحظورات الكثيرة التي يعد بعضها من الشرك الصحيح، وبعضها من البدع والمعاصي ولا سيما المعاصي التي تفعل تديناً وتقرباً وتوسلاً إلى الله تعالى، كما ترى في كتاب الزواجر للفقيه ابن حجر من فقهاء الشافعية وغيره من كتبهم، وفي كثير من كتب الحنابلة ويحتجون بهدم النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد الضرار»[1].

وقد بلغ تمسك رشيد بمذهب السلف أنه كان ينتقد شيخه محمد عبده فيما يراه أنه قد خرج في قوله أو حكمه عن مذهب السلف. فحين فسر محمد عبده غضب الله تعالى

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٤٣٣.

بأن المراد لازمه وهو العقاب يأتي رشيد رضا فيقول: «وغضب الله يفسرونه بلازمه وهو العقاب، ووافقهم الأستاذ الإمام والذي ينطبق على مذهب السلف أن يقال إنه شأن من شؤونه تعالى يترتب عليه عقوبته وانتقامه»[1].

أما سلفية تفسير المنار: في مجال الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد: فقد بلغ من عناية رشيد رضا بهذه الناحية ما ذكره ابن عمه عبدالرحمن عاصم من أن رشيد كان يكتب فهمه للآية قبل مراجعة أي تفسير لها حذراً من تأثير أقوال المفسرين عليه، وكان يكتب التفسير في أسفاره وليس عنده من المراجع إلا (المفردات من غريب القرآن) للراغب الأصفهاني وإذا أتاه الله فهماً جديداً في القرآن فرح وتحدث به لخاصته[2].

وفي نهاية حديثنا عن سلفية تفسير المنار نورد اعتراضاً أورده الدكتور (حسيب السامرائي) في كتابه «رشيد رضا المفسر» حيث اعترض على تسمية رشيد رضا توجه العامة

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٦٨ و ٧٦ و ٧٧ .

(٢) عبدالرحمن عاصم : الشيخ محمد رشيد رضا مقال في رثاء رشيد رضا في مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٧ .

إلى أوليائهم بالدعاء وطلب قضاء الحاجات عبادة لهم من دون الله ، وقال السامرائي : «كل ما يمكن أن يتصور من توسلهم به واستشفاعهم بجاههم عند ربهم أنهم يعتقدون فيهم أنهم أقرب إلى الله منهم. وأنهم أسباب يقضي الله الحوائج عند وجودها إكراماً لهم وجرياً على العادة في ذلك»[1]. ويستمر السامرائي في رده على رشيد رضا معترضاً عليه تسمية توسل هؤلاء العامة الجاهلين بالأموات شركاً، وهو ما قرره رشيد في عدة مواضع من تفسيره[2] وكان في ذلك مناصراً لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية ومتأثراً بها والتي رأت أن فعل هؤلاء العامة هو أصل الشرك ومبدؤه .

ونقوم هنا مقام رشيد رضا في الرد على الدكتور السامرائي في ثلاث نقاط رئيسة :

١ ـ أن ما ذكره السامرائي من أن هدف هؤلاء العامة في توسلهم بأوليائهم هو اعتقادهم أنهم أقرب منهم إلى الله فيتوسطون بهم ـ هو عين ما كان المشركون يردون

---

(١) حسيب السامرائي ، المرجع السابق ص ٤٢٦ ـ ٤٣٠ .

(٢) انظر مثلاً : تفسير المنار جـ ٥ ص ٨٣ وما بعدها .

به دعـوة رسلهـم إلى عبـادة الله وحده. وأنكره الله عليهم وقد حكى القرآن الكريم ردهم هذا في عدة آيات منها قوله تعالى:

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ سورة الزمر: آية ٣.

٢ ـ أن الـواسطة بالمخلوقين الأحياء جائزة فيما يقدرون عليه لكنها ممنوعة فيما لا يقدر عليه إلا الله وقد تؤدي إلى الشرك إذا اعتقد الإنسان نفعهم من دون الله.

٣ ـ أن التـوسـل بالأمـوات لا يجوز مطلقـاً ولهذا حينما استسقى عمر رضي الله عنه والصحابة لنزول المطر، توسلوا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم (العباس بن عبدالمطلب) ولم يتوسلوا بالرسول صلى الله عليه وسلم لأنـه ميت. وقـد ذكر رشيد أن توسل عمر بالعباس معناه جعله إماماً لهم بالصلاة وأمنوا على دعائه[1].

نهاية تفسير المنار:

أكمـل محمد رشيد رضا ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره للقرآن الكريم اثني عشر جزءاً وشرع في الجزء الثالث عشر

---

(١) مجلة المنار، مجلد ١٢ ص ٣٩٦.

وانتهى به المطاف إلى الآية رقم ١٠١ (الحادية بعد المائة) من سورة يوسف وهي قوله تعالى:

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

وقال في آخر جملة فسر بها تلك الآية « فهذا الدعاء العظيم بمعنى قوله تعالى في فاتحة القرآن:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» ثم قال: «فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام»[1]. وكان هذا الدعاء من رشيد آخر كلمة قالها في تفسير القرآن الكريم فبعدها توفي في يوم الخميس ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ.

ثم أكمل الشيخ محمد بهجت البيطار ـ وهو من تلاميذ رشيد ـ تفسير ما بقي من تفسير سورة يوسف وهي عشر

---

(١) تفسير سورة يوسف ص ١٣٠.
وأحمد محمد شاكر: مقال في رثاء رشيد رضا ـ مجلة المقتطف مجلد ٨٧ ص ٣١٨ ـ ٣٢١.

آيات رقم (١٠١ ـ ١١١)[1] ثم توقفت مجلة المنار عن الصدور ـ كما سبق ـ فتوقف معها التفسير .

ولما قام جماعة الإخوان المسلمين ببعث المنار من جديد ورأس تحريرها الشيخ (حسن البنا) ـ رحمه الله تعالى ـ حاول الشيخ البنا مواصلة إصدار التفسير فبدأ من حيث انتهى السيد رشيد رضا والأستاذ البيطار. وكتب فعلاً تفسيراً لجانب من سورة الرعد نشر في الأعداد الستة التي أصدرها من مجلة المنار لتكمل بذلك مجلدها الخامس والثلاثين كما سبق .

ولكن مع الأسف توقفت مجلة المنار بعد ذلك عن الصدور ـ فانقطع بذلك التفسير على الرغم من مطالبة الكثيرين بعودة مجلة المنار وتفسيرها[2] .

وهكذا توفي رشيد رضا بعد أن فسر اثني عشر جزءاً من

---

(١) وطبع تفسير لسورة يوسف في كتاب مستقل قدم له محمد بهجت البيطار وطبع في المنار سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م).

القرآن الكريم وقعت في ستة آلاف صفحة. متوسط كل جزء خمسمائة صفحة. ويزيد في أهمية وقدر هذه الأجزاء أنها أصعب أجزاء القرآن الكريم فهماً واستنباطاً[1] .

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ١٩٤ .
وانظر : مثلاً : مجلة الفتح العدد ٤٦٠ ، ٣٠ من جمادى الأولى ١٣٥٤هـ ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ .

خامساً : مؤلفات رشيد رضا وسلفيتها

(أ) مؤلفات رشيد وقيمتها العلمية :

إذا كانت «مجلة المنار» و «تفسير المنار» من أهم وأكبر إنتاج رشيد رضا، فإن هناك مؤلفات أخرى ألفها رشيد أيضاً حملت الكثير من آرائه وإصلاحاته وجهاده الإسلامي، ولكنها لم تكن بانتشارها كانتشار مجلة المنار وتفسيره .

ولم تكن مؤلفاته تلك خاصة بشؤون العقائد فحسب بل شملت شؤوناً سياسية واجتماعية واقتصادية ولغوية وأدبية وتاريخية ولا شك أنه كان في معالجته وتطرقه لهذه الأمور نابعاً من وجهة النظر الإسلامية .

يقول شكيب أرسلان في رشيد «كان الذي يدهش في الشيخ رشيد رضا رسوخ قدمه في مختلف العلوم حتى إذا نظرت إليه في علم منها وعلمت مبلغ إحاطته فيه ظننته متخصصاً في ذلك العلم ووجدته كأنه انفرد به، والحال أن

له في سائر العلوم الملكة نفسها، فكان إذا أمسك بالقلم تدفق نحواً وصرفاً ولغةً وبياناً وبديعاً وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتوحيداً وأصولاً وكل ذلك في نسق واحد»[1].

وقد ذكر كثير من الباحثين في شخصية رشيد أنه لو كُفِيَ إدارة أعماله وانقطع لتأليفه لكان أكثر إنتاجاً فيه. يقول محب الدين الخطيب عن رشيد: «ولو أن هذا الرجل الراحل كفي إدارة أعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان في أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها في حياتهم لكان أعظم إنتاجاً ومن أكبر الرجال الذين يشار إليهم بالبنان في الأمور الأخرى»[2].

وأسلوب رشيد رضا في مؤلفاته يغلب عليه السهولة والوضوح بل يمكن القول بأنه من السهل الممتنع وقد كان لاشتغاله بالصحافة تأثير على أسلوبه في ناحية التطويع والتقريب بل يمكن القول بأن الصحافة هي صاحبة

---

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٢٥٥ .

(٢) محب الدين الخطيب : مرجع سابق مجلة الفتح العدد ٤٦٠ ـ ٣٠ جمادى الآخرة ١٣٥٤هـ ص ٢٣٢ .

الفضل الأكبر في دفع رشيد إلى الكتابة وهي الحقيبة الكبيرة التي حفظت لنا آثار رشيد وأفكاره[1].

والنظرة الفاحصة لمؤلفات رشيد رضا تبين لنا بأنها متنوعة الجوانب متعددة التخصصات فبعضها شرعية فقهية مثل كتاب «مناسك الحج»، وبعضها عقائدية شرعية مثل كتاب «السنة والشيعة» و «رسالة التوحيد» وبعضها تركز على نواحي سياسية مثل «الوهابيون والحجاز» و«الخلافة والإمامة العظمى»، وبعضها تاريخية سياسية مثل كتاب «تاريخ الأستاذ الإمام» وهو من أضخم مؤلفات رشيد رضا. وأكثر مؤلفاته تختص بالنواحي الإصلاحية الإسلامية مثل «المنار والأزهر، والوحي المحمدي، وترجمة معاني القرآن وما فيها من المفاسد، وذكر المولد النبوي، وحقيقة الربا، والمسلمون والقبط، ونداء للجنس اللطيف أو حقوق النساء في الإسلام» بالإضافة إلى كتاب «الحكمة الشرعية» وغيرها .

ولم يستكمل رشيد رضا كل مؤلفاته قبل وفاته. بمعنى

(١) أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ١٥.

أنه ظهرت له مؤلفات نشرت بعد وفاته وكان قد جمع جميع موادها أو أكثرها ووافته المنية قبل نشرها وذلك مثل «حقيقة الربا» و «مساواة المرأة بالرجل» و«رسالته في التوحيد» وكذلك كتابه «الحكمة الشرعية» وهو أول مؤلفاته وقد نشر فصولاً منه في مجلة المنار ولكن لم يطبعه .

ومؤلفات رشيد رضا على هذا الأساس تقارب الثلاثين ولذلك فإن الكلام على كل مؤلف على حدة وإعطاء نبذة وافية عنه وعن مباحثه موضوع طويل قد يخرج بنا عن نطاق بحثنا .

ولقد تعود رشيد رضا التعليق على ما ينشره لغيره في مجلة المنار، وعلى ما يشرف على طبعه من كتب غيره وهذا التعليق قد يكون تخريجاً لحديث، أو تصحيحاً لخطأ لغوي أو نحوي أو ديني، وقد يكون إضافة إلى الموضوع الذي يعلق عليه، وقد يكون ذكراً لشخص خاص أو عام يتعلق برشيد ووجد رشيد الفرصة مناسبة لذكره، كما قد يكون ترجمة لأحد الأعلام الوارد ذكرها[1].

ولا شك أن لهذه التعليقات فائدة علمية كبيرة، يقول

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٣٩٧ .

الدكتور/ أحمد الشرباصي : «لا جدال في أن تعليقات رشيد المختلفة على المقالات والمطبوعات قد تضمنت فوائد كثيرة منها ما يتعلق بعلوم الدين، ومنها ما يتعلق بعلوم اللغة ومنها ما يتعلق بالسياسة أو التاريخ أو الأشخاص.. أنه ليخيل إليَّ أن عقل رشيد كان كالمنجم المزدحم بشتى المعلومات والمعارف التي تطن في دماغه وتريد أن تجد سبيلاً إلى الانطلاق فما يكاد رشيد يجد مكاناً مناسباً لهذا الانطلاق حتى يفتح لما في عقله أوسع الأبواب»[1].

(ب) السلفية في مؤلفات رشيد رضا :

لعل من الواضح جداً أن نقول : إن السلفية في كتابات ومؤلفات رشيد رضا تشبه في معالمها البارزة السلفية في مجلة المنار وتفسيره. فالدفاع عن زعماء السلفية والدعوة إلى مبادئها والحديث عنها وتوضيحها كل ذلك ظهر بارزاً في مؤلفات رشيد رضا بل وفي تعليقاته على الكتب التي يطبعها وينشرها في مطبعة المنار وخاصة تلك الكتب التي تحدثت عن مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتعاليمها

(١) أحمد الشرباصي : رشيد رضا الكاتب الإسلامي ص ٢٤٢ و ٢٤٤ ط ١٩٧٦.

القائمة على التوحيد ومحاربة التقليد، وقد عرف رشيد رضا التقليد بأنه الأخذ بالرأي من غير دليل[1]، ولهذا قد يخالف رشيد بعض آراء أولئك العلماء لعدم اقتناعه بها، كما أن رشيد له آراء لم يقل بها أولئك العلماء مثل :

١ ـ رأيه في جواز التيمم للمسافر ولو كان الماء موجوداً بين يديه ولا عذر يمنعه من استعماله، ويفسر آية التيمم في سورة النساء على هذا الأساس كما سبق .

٢ ـ رأيه بعدم نسخ آية الوصية وهي قوله تعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾

[سورة البقرة، آية : ١٨٠].

فهو يرى أن الآية غير منسوخة بآية المواريث ولا بحديث «لا وصية لوارث» وقد قال بنسخها بذلك جمهور العلماء .

ولم يكتف رشيد بإظهار رأيه في هاتين المسألتين

---

(١) محمد بن عبدالعظيم الموروي : «القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد» ص ٤ (الهامش) تعليق لرشيد رضا ـ جـ١ ـ المنار ١٣٣٢هـ.

«التيمم، والوصية» بل انتصر لرأيه بأدلة وحجج رغم مخالفته لجمهور علماء المسلمين[1].

ومهما يكن من أمر فإن سلفية رشيد وجهاده في ذلك الميدان ظهرت في دعوته إلى إخلاص التوحيد لله تعالى والبعد عن كل ما ينافيه من بدع وخرافات وأنواع الشركيات، وفي تمسكه بمذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وأمور الغيب كلها، وظهرت من ناحية أخرى في دعوته إلى الاجتهاد والاستقلال في الرأي وحربه للتقليد الأعمى بكل أنواعه.

وإذا كانت النظرة السلفية ومنها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ترى أن جعل يوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم له مزية خاصة والاحتفال به بدعة محدثة في الدين[2]، فإن لرشيد رأياً في الاحتفال بالمولد النبوي وهو

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ: مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٩١ ط ثانية ١٣٩٤هـ. وعبدالله بن سعد الرويشد: قادة الفكر الإسلامي عبر القرون ص ٣١٧ و ٣١٨ط بيروت، وانظر تفسير المنار عند تفسيره للآيتين في سورتي البقرة والنساء.

(٢) سليمان بن سحمان: الهدية السنية والتحفة الوهابية ص ٤٨ ط ١٣٤٤هـ، وعبدالعزيز بن باز ـ جريدة الجزيرة في العدد ٢٠٦٤ تاريخ =

أنه من الأحسن الاستفادة من هذه الاحتفالات بأمور تعود بالخير على المجتمع المسلم، فألف رسالة خاصة لأجل قراءتها في تلك الاحتفالات، تشمل الصحيح من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحاديثه وفضائله، وأسماها «في ذكرى المولد النبوي» وقصد في ذلك قراءتها لمجرد الذكرى والاعتبار[1].

ولقد كانت من أهم الكتب التي تطبع في مطبعة المنار ويعلق عليها رشيد الكتب التي يطبعها رشيد لحساب الدولة السعودية بأمر من الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ لتوزيعها على طلبة العلم في المملكة، وأغلبها من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبعض علماء الدعوة السلفية في نجد، كما أن بعضها من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب أئمة وعلماء المذهب الحنبلي بالإضافة إلى كتب في تفسير القرآن الكريم كتفسير ابن كثير والبغوي.. ولا

= ٩ ربيع الأول، عام ١٣٩٨هـ (حكم الاحتفال بالمولد) وجريدة الرياض ـ العدد ٤١٤٨ تاريخ ١ ربيع الأول ١٣٩٩هـ (فتوى شرعية تؤكد عدم جواز الاحتفال بالمولد).

(١) رشيد رضا: ذكرى المولد النبوي ص ٣ ط المنار بمصر عام ١٣٣٩هـ، ومجلة المنار مجلد ٢٠ ص ٣٠، ٣١.

شك أن اهتمام رشيد رضا بطبع مثل هذه الكتب والتعليق عليها يعطينا فكرة واضحة عن مقدار تأثر رشيد رضا بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدعوة السلفية عموماً وحبه وحرصه الشديدين على نشرها عن طريق مطبعته وإدارته، حتى صارت مطبعة المنار أهم المطابع في مصر والعالم الإسلامي في الدعوة إلى السلفية ودعوة محمد بن عبدالوهاب والدفاع عنها بشكل خاص[1].

ومن أمثلة تلك الكتب :ـ

- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.
- مجموعة التوحيد النجدية .
- مجموعة الحديث النجدية .
- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية. جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان.
- مجموعة رسائل وفتاوى مهمة تمس إليها حاجة العصر لعلماء نجد الأعلام .

---

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٣٦٦، أحمد الضبيب : حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة ـ مجلة الدارة العدد ٣ السنة الرابعة ص ٩.
وانظر : خير الدين الزركلي، الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز ص ٣٢٩، ط ١٩٧٧م.

- كتاب تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ويليه كتاب تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين تأليف الشيخ سليمان بن سحمان .
- كتاب الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق : تأليف الشيخ سليمان بن سحمان . أيضاً.

وهكذا ظهرت السلفية عند رشيد رضا في مؤلفاته وفي مؤلفات غيره التي نشرتها مطبعة المنار وعلق عليها .

القسم الثاني

رشيد رضا في ميدان الإصلاح

ويشتمل على :

أولاً : أعماله الإصلاحية .

ثانياً : رشيد والإصلاح السياسي .

ثالثاً : أثر المنار الإصلاحي في العالم الإسلامي .

« القسم الثاني »

رشيد رضا في ميدان الإصلاح

أولاً : أعماله الإصلاحية

إن الباحث في شخصية رشيد رضا لا يستطيع بسهولة استخراج الآراء الإصلاحية لرشيد رضا والتي دخل بها في ميدان التطبيق العملي، صحيح أنه يواجهه ركاماً من الآراء والأفكار الإصلاحية ولكن لا يعرف إلى أي حد أمكن لرشيد تطبيقها عملياً، فرشيد رضا شخصية إسلامية إصلاحية ولكنها ليس عندها من النفوذ والسلطان ما يمكنها من تطبيق ما تراه وتؤمن به .

وعلى كل حال فإن هناك ثلاثة أوجه يجد الباحث دوراً عملياً لرشيد رضا فيها. وقد كتب لتلك الأعمال الثلاثة النجاح في تطبيقها وإن كانت نسبة نجاحها بدرجات متفاوتة وهذه الأعمال الثلاثة هي :

(أ) سعيه للوحدة الإسلامية .

(ب) مدرسة الدعوة والإرشاد .

(جـ) إصـلاح الأزهـر .

وسنتعرف على كل منها على حدة .

(أ) سعيه للوحدة الإسلامية :

يمكن القول: أن المؤثر والدافع الأول لرشيد رضا في دعـوتـه إلى الـوحـدة الإسـلامية كانت «العروة الوثقى» وجمعيتها بزعامة السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والتي دعت إلى وحدة المسلمين في جميع أمور الحياة في ظل عقيدتهم الإسلامية .

وفي مجلة المنار يفصل رشيد رضا رأيه في طريقة الوحدة الإسلامية فيذكر أنها قائمة على جمع المسلمين على عقيدة واحدة وأصول أدبية واحدة، وقانون شرعي واحد، ولغة واحدة لا يحكم عليهم غيرهم في نوع من أنواع الأحكام[1] .

ويقرر بأن التخلف الذي أصاب المسلمين في عهدهم الحـاضر إنـما هو بالانـحراف عن الدين الإسلامي « لأن

(١) مجلة المنار ـ المجلد الثاني ص ٣٣٧ .

طبيعة الدين الإسلامي تقتضي التقدم، وأن التأخر ما جاء إلا بالانحراف عن سننه ولبسه كما يلبس الفرو مقلوباً كما قال الإمام علي كرم الله وجهه »[1].

ويقرر رشيد القواعد التي يجب بناء أي إصلاح أو وحدة إسلامية عليها وهي أربعة :-

١ - الاعتراف بإسلام كل مذعن لما أجمع عليه المسلمون من أمر الدين .

٢ - بث الدعوة للعمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح فيها كما أثبته علماء الحديث بالأسانيد المعتمدة، وترك ما خالفه من أفكار المتكلمين وآراء الفقهاء، ولا نزيد في أمور العبادات والحلال والحرام على ذلك ولا ننقص منه.

٣ - عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض، وذلك بأن نعذر كل متبع لإمام من أئمة السلف المجتهدين في حكم من الأحكام، ولا نكفر مسلماً مذعناً بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع أو بتأويل،

---

(١) مجلة المنار - المجلد الثالث ص ٣٤٤.

على قاعـدة «نتعـاون فيما نشترك فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف فيه».

٤ ـ الاستعـانـة بإرشـاد الكتـاب والسنة على الإصلاح الدنيوي ، مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية[١].

ولا يعني تقرير رشيد رضا تلك القواعد أنه متساهل في سلفيته، بل يقرر في موضع آخر بأن الإصلاح الإسلامي لا بد أن يقوم على التوحيد الخالص بترك البدع والتقاليد الوراثية الباطلة[٢]. ويرى أن ما كان عليه السلف الصالح في الصدر الأول لم يكن يسمى مذهباً ولا يصح أن يسمى مذهباً في الإسلام لأنه هو الإسلام كله[٣].

ومن مبادىء الوحدة التي نادى بها رشيد للقضاء على العصبية المذهبية أن تؤلف جمعية من علماء المذاهب المتبعة

---

(١) رشيد رضا : فتويان من فتاوى المنار الإصلاحية ص ٢٦ ط، ١٣٤٠هـ ومجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ١٨٤ و ١٨٥ ، ومجلد ١٧ ص ٩٥٦ ـ ٩٥٨ .

(٢) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز ص ٧ .

(٣) رشيد رضا : مقدمة كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان تأليف محمد بشير السهسواني ص ٢٣ ، ط الأولى بالمنار .

ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص د، هـ ، و.

كلها تضع للأمة كتباً في العبادات والمعاملات تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة ومن اجتهاد جميع المجتهدين يراعى فيها اليسر ورفع الحرج، ودرء المفاسد ومراعاة المصالح والعرف وغير ذلك من القواعد العامة، ويرى رشيد أن كتابي «المغني والشرح الكبير» لابن قدامة وابن أبي عمر من أعظم الوسائل لهذا العمل[1].

والسؤال الآن : إذا كانت تلك هي الآراء والأفكار التي دعا إليها رشيد في موضوع الوحدة الإسلامية فهل قدر لرشيد رضا أن يحقق ما يدعو إليه عملياً ؟

وبقدر دراستنا لحياة رشيد بمختلف مراحلها يمكن أن نلخص تلك الأعمال بما يأتي :

١ ـ سعيه للاتفاق بين أهل السنة والشيعة :

إن أهم مصدر يصور لنا جهود رشيد رضا في هذا الميدان هو كتاب « السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ».

ويعتبر رشيد أن إشادته في مجلة المنار ببعض إنجازات

(١) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ص ١٤٨ ، ط ١٣٦٧هـ.

الشيعة السياسية جانباً من سعيه للتأليف بين أهل السنة والشيعة[1]، فيذكر أنه لما أعلن الشاه « مظفر الدين » حكومة الشورى النيابية في إيران، نوه رشيد بهذا العمل الإسلامي وأشاد به في مجلة المنار.

وعن سعيه للتأليف بين الشيعة ولا سيما غلاة الإمامية وأهل السنة السلفيين الملقبين بـ «الوهابية» يذكر أنه كلم في هذا الموضوع عدة شخصيات بارزة أهمهم «الملك فيصل» ملك العراق كما أنه عندما سافر سفير دولة إيران إلى مكة المكرمة للقاء الملك عبدالعزيز آل سعود زوده رشيد بكتاب إليه في موضوع الاتفاق. كما حمل السفير إلى رشيد من ابن سعود كتاباً يتعلق بالمؤتمر الإسلامي العام الذي عقد في مكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م. ولكن رشيد رضا يقرر أن هذه الجهود لم تثمر الثمرة المرجوة.

وهناك سعي نجح فيه رشيد وكان له دور بارز في ذلك وهو الاتفاق الذي عقد بين الإمام يحيى إمام اليمن والملك

---

(١) رشيد رضا : السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة ط أولى ص ١٤ و ١٥، ١٦ ـ ٢٠.

عبدالعزيز، ويذكر رشيد أنه كتب إلى كل منهما كتباً يدعوه فيها إلى الاتفاق مع الآخر[1].

وفي موضع آخر يبين لنا رشيد رأيه في كيفية الاتفاق بين السنة والشيعة بالتمسك بقاعدة المنار الذهبية هي « التعاون فيما يتفق عليه الفريقان ويعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون فيه » فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الإسلام الخمسة وعلى تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعلى محبة آل البيت وتعظيمهم، وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية، فيجب أن يتعاونوا على ذلك كله. أما المسائل الخلافية كمسألة الإمامة والمفاضلة بين الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. وفي عصمة الأئمة الاثني عشرة مع مسائل أخرى تتعلق بصفات الله وفيما دون ذلك من الفروع العملية. فلكل من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن إليه قلبه، ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه من غير طعن في عقيدة الآخر[2].

---

(١) رشيد رضا : المصدر السابق ص ٢٦ ـ ٢٩ ومجلة المنار مجلد ٢٧ ص ١٤ و ١٥ .

(٢) رشيد رضا : المصدر السابق ط. ثانية ١٣٦٦هـ (١٩٤٧م) ص ١١٧ .

ويشيد رشيد بعد ذلك بشيعة إيران وأن ميلهم إلى الوحدة أكثر من شيعة العراق، وحينما طلب أحد علماء شيعة العراق وهو « عبدالمحسن نورالدين » من رشيد أن يجعل في مجلة المنار باباً للمناظرة في مسائل الخلاف بين أهل السنة والشيعة يسارع رشيد بإجابة طلبه على أن تقتصر المناظرة على المسائل الخلافية المهمة فقط ولكن لم يكتب لهذه المناظرات الاستمرار بسبب عدم التزام « عبدالمحسن نورالدين » بالمسائل الخلافية المهمة في مناظرته[1].

والذي يظهر لنا أن رشيداً لم يلق في جهوده السابقة تشجيعاً ودعماً من جانب الشيعة وبخاصة شيعة العراق الذين اتخذوا من « مجلة العرفان » الشيعية وسيلة لنشر مطاعنهم في عقيدة أهل السنة كالطعن في بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعن في أئمة السنة المشهورين كالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه الذين يطلقون عليهم اسم « الوهابيين » ويصفونهم بالابتداع في الدين والخروج

---

(١) المصدر السابق : ص ١٢٨ ـ ١٣٤ ، وص ١٥٩ و ١٦٣ .

أن تغني المسلمين عن مدارس دعاة النصرانية وتمنعهم من الـدخول فيها بكل الوسائل الممكنة وإلا ندموا حيث لا ينفعهم الندم ومن أنذر فقد أعذر"[1] .

٣ - رحـــلاته :

قام الشيخ رشيد رضا بعدة رحلات إلى أقطار عديدة من العالم الإسلامي وغيره كانت لها تأثير كبير في حياة رشيد رضا .

والشيء المهم في رحلاته هو أن رشيد أقبل عليها وهو يريد الاستفادة منها في التأثير على مجرى الأمور والأحداث التي كانت تموج في محيط العالم الإسلامي حينذاك، وبهذا يمكنه ـ قدر استطاعته ـ تكييف هذه الأوضاع وفقاً لمبادئه وأفكـاره الإسـلامية. ومن هنا كانت رحلات رشيد أحد الأعمال التي قام بها رشيد في سبيل تحقيق الوحدة الإسلامية والدعوة إليها"[2] .

وأهم تلك الرحـلات هـي :

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٦ ص ٣٨٢ و ٣٨٣ .

(٢) يوسف أيبش : رحـلات الإمـام محمـد رشيد رضـا ص ٨ وعبـدالله الرويشد : قادة الفكر الإسلامي عبر القرون ص ٣١٤ .

١ - رحلته إلى سوريا : عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وألقى فيها العديد من الدروس والمحاضرات وأسس في طرابلس الجمعية الخيرية الإسلامية[١].

٢ - رحلته إلى القسطنطينية : عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م وغرضها السعي لإزالة سوء التفاهم بين الترك والعرب[١]. وإقامة مدرسة الدعوة والإرشاد[٢].

٣ - رحلته إلى الهند : بدعوة من جمعية ندوة العلماء عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م وألقى بعض الدروس والمحاضرات[٣].

٤ - رحلته الأولى إلى الحجاز : سنة ١٣٣٤هـ / ١٩١٦م وألقى بعض المحاضرات الدينية والسياسية وأدى مناسك الحج مع والدته وكان ذلك بعد ثورة شريف مكة الحسين بن علي ضد الأتراك[٤].

٥ - رحلته الثانية إلى سوريا : عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م

---

(١) مجلة المنار مجلد ١١ ص ٧٠٦ و ٨٧٤ و ٩٣٦ ومجلد ١٢ ص ١٥٠ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٩٥٦ ومجلد ١٣ ص ١٤٥ و ٣١٣ و ٧٤٨ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٦ ص ٧٧ و ١٠٤ و ٣٩٦ ومجلد ١٩ ص ٥٦٧ .

(٤) مجلة المنار مجلد ١٩ ص ٣٠٧ و ٤٦٦ و ٥٦٣ ومجلد ٢٠ ص ١٠٨ و ١٥٠ ، ١٩٢ و ٢٣٦ و ٣١٦ ، ٣٥٢ .

وفيهـا صار له نشـاط سياسي حيث انتخب رئيساً للمؤتمر السوري العام « مجلس الأمة » في سوريا[1] .

ولكنه بعد زحف الجيش الفرنسي على سوريا اضطر رشيد للعودة إلى مصر عام ١٣٣٩هـ .

٦ - رحلتـــه إلى أوروبـــا : عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م لحضـور مؤتمـر العـرب في جنيف للاحتجـاج على احتلال فرنسا لسوريا وانجلترا لفلسطين[2] .

٧ - رحلته الثانية إلى الحجاز : عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م لحضـور المؤتمـر الإسـلامي الـذي دعـا إليه الملك عبدالعزيز آل سعود في مكة بعد ضمه الحجاز، وكان لرشيد في المؤتمر نشاط كبير[3] .

٨ - رحلته إلى فلسطين : في عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م لحضـور المؤتمـر الإسلامي في القدس لبحث قضية

---

(١) مجلة المنار - مجلد ٢١ ص ٣٣٧ و ٤٩٨ ومجلد ٢٢ ص ١٥٥ و ٣٩٠ و ٦١٧ و ٧٦٨ ومجلد ٢٣ ص ١٤١ و ٢٣٥ و ٣١٣ و ٣٩٠ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٢٣ ص ١١٤ و٣٠٦ و٣٨٣ و٤٤١ و٥٥٣ و٦٣٥ و٦٩٦ .

(٣) مجلة المنار مجلد ٣٢ ص ١١٦ ، وشكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٤٤٢ - ٤٥٠ والمؤتمر الإسلامي الأول جريدة الرياض العدد ٤٧٢٦ في ٥ ربيع الأول ١٤٠١هـ ١١ يناير ١٩٨١ ص ٩ .

فلسطين بدعوة من الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين أحد تلاميذ رشيد[1] .

ومما تقدم ندرك أن الغرض والهدف الأسمى في رحلات رشيد رضا كلها هو الدعوة إلى تضامن المسلمين واتحادهم ووسائل النهوض بهم ومعالجة الأسباب التي أدت إلى تشتتهم وإضعافهم .

(ب) كلية الدعوة والإرشاد وجمعيتها[2] :

١ ـ قيامها ونظامها :

يذكر لنا رشيد رضا أن فكرة إنشاء هذه المدرسة وجمعيتها قد اختمرت في رأسه منذ كان يطلب العلم في طرابلس الشام ولما هاجر إلى مصر قويت عنده هذه الفكرة . وبعد تسع سنوات من هجرته إلى مصر تبلورت في ذهنه فكرة إنشاء هذه المدرسة وجمعيتها . وصادف ذلك أن اليابان عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م دعت لعقد مؤتمر تناقش فيه جميع

(١) مجلة المنار مجلد ٣٢ ص ١١٧ ـ ١٣٢ ، وشكيب أرسلان : مرجع سابق ص ١٥٧ .

(٢) أطلق عليها رشيد مدرسة ، ومعهد ، وكلية . ومن سماها (كلية) توماس أرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ص ٤٧٩ (مترجم) ط ١٩٧٠م .

الأديان واختيار الدين الأمثل ليكون دينها الرسمي . فدعا رشيد لإنشاء جمعية للدعوة إلى الدين الإسلامي يكون عملها الأول إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة[1] .

على أن أهم شيء ظل يدفع برشيد نحو إخراج فكرته إلى حيز التنفيذ هو كثرة المكاتبات التي وردت إلى مجلة المنار من شتى البلدان الإسلامية تشكو من نشاط المبشرين الاستعماريين في بلادها وتستنجد بأصحاب الغيرة والإصلاح الإسلامي لتدارك ذلك الخطر[2] .

ولم يلبث أن قام الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ الذي أعقبه خلع السلطان عبدالحميد (١٣٢٧هـ ـ ١٩٠٩م)[3] ففتحت أبواب الدولة العثمانية أمام رشيد بعد أن كان ممنوعاً من دخولها في عهد السلطان عبدالحميد، فاتجه رشيد رضا من فوره إلى الآستانة ليسعى في إنشاء جمعية إسلامية تتبعها

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٤٢ ، ورشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء ص ٣ و ٤ .

(٢) إبراهيم العدوي : رشيد رضا الإمام المجاهد ص ١٨١ و ١٨٢ ، وتشارلز آدمز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٨٧ ، ومجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٠ و ٥١ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٤٣ .

مدرسة لتخريج الدعاة والمرشدين بجانب سعيه في إزالة سوء التفاهم بين العرب والترك ـ كما مر ـ .

وأقام رشيد عاماً كاملاً في الآستانة، وبعد جهود مع رجال الحكومة العثمانية وافقت مبدئياً على أن تكون مدرسة رسمية، فأخذ رشيد يطالب بإعادة النظر في هذا القرار، فبدأ التسويف والإرجاء من جديد[1]. ثم عاد رشيد إلى مصر بعد أن اقتنع بعدم صدق وعود الحكام الاتحاديين وفي هذه الأثناء طلبه الخديوي عباس حلمي الثاني ـ بعد جفاء بينهما دام تسع سنين ـ وأقنعه بتنفيذ المشروع في مصر ووعد بمساعدته واستقر رأيه ورأي العلماء والعقلاء في مصر والعالم الإسلامي على قبول ذلك وإنشاء الجمعية والمدرسة في القاهرة فألفت حينئذ الجمعية باسم «جمعية الدعوة والإرشاد» وأسس لها مدرسة باسم «دار الدعوة والإرشاد»[2].

وقد بدأ بإلقاء الدروس في المدرسة يوم السبت ١٣ من

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٣ ص ٧٥٢ .

(٢) مجلة المنار مجلد ١٥ ص ٢٢٦ و Jpmier,Op, cit, P. 41

ربيع الأول من عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م وتولى رشيد رضا إدارة المدرسة[1].

وينص نظام الجمعية على أسماء أعضائها وهم عشرة انتخب منهم : « محمد بك سالم » رئيساً للجمعية و « رشيد رضا » وكيلاً لها وناظراً لمدرسة الدعوة والإرشاد. كما ينص نظامها على أن المقر الرئيس للجمعية مدينة القاهرة، ويجوز إنشاء فروع لها في أقطار العالم الإسلامي[2].

ويمكن تلخيص المعالم البارزة في نظام هذه المدرسة بما يأتي :-

١ - أساس نظامها الآيتين الكريمتين في سورة آل عمران ١٠٣ و ١٠٤ في قوله تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ إلى قوله :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

٢ - يختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من

---

(١) مجلة المنار مجلد ١٥٦ ص ٩٢٣ و مجلد ١٣ ص ٤٦٥ وما بعدها .

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٤ ص ١١٤ - ١٢٠ وص ٧٨٥ .

(٣) مجلة المنار - مجلد ١٣ ص ٤٦٦ ، ومجلد ١٤ ص ١١٦ .

مسلمي الأقطار الإسلامية ويفضل الذين هم أشد حاجة للعلم من غيرهم كأهـل جاوة والصـين ومـا عدا القسم الشمالي من أفريقيا[1] .

٣ ـ يعتني بتربية طلابها على آداب الإسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من ثبت عليه الكذب أو إظهـار العصبية الجنسية أو المذهبية أو ارتكاب شيء من المعاصي ، كما يتعوّدون على قيام الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وعلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن مع التدبر[2] .

٤ ـ كانت الدراسة في هذه المدرسة على مرحلتين :

المـرحلة الأولى: مدتهـا ثلاث سنـوات يعطى بعدها الطالب شهادة « مرشـد » إذا قضى هذه السنوات الثلاث، ونجح فيها، وهذه الشهادة تؤهل الطالب للقيام بالدعوة والإرشاد بين المسلمين. ويركز في دراسة هذه المرحلة على العلوم الإسلامية والعربية والاجتماعية مع الإلمام بالعلوم الأخرى .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٢ و ٥٣ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٢ ، ومجلد ١٥ ص ٩٢٣ ، ومجلد ـ ١٣ ص ٤٦٥ .

المـرحلة الثـانية: ومـدتها ثلاث سنوات أخرى يقبل الدخول فيها لمن اجتاز المرحلة الأولى ويستثنى من ذلك من أجمـع أعضـاء جمعية الدعوة والإرشاد على صلاحيته لدخـولهـا وأنـه مهيىء لذلك. ويعطى الناجح من هذه المـرحلة شهـادة « داعيـة » تؤهله لأن يصبـح داعية من الـدعاة المسلمين الذين يقومون بنشر الإسلام ودعوة غير المسلمـين للدخـول فيه والـدراسة في هذه المرحلة أوسع وأعمق وتشتمل على العلوم الإسلامية والعربية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية، وطرق الدعوة إلى الله ورد الشبهات عن الإسلام، مع قسط من اللغات الأجنبية أوروبية وشرقية[1].

٥ ـ ينص نظام المدرسة على أن يدرس فيها ما يحتاج إليه الدعاة والمرشدون من العلوم الدينية كالعقائد والتفسير والحـديث والأحكـام. على الوجه المؤدي إلى القدرة على

---

(١) عبدالسميع البطل : رشيد رضا ومدرسة دار الدعوة والإرشاد ـ مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ١٩٥ ـ ٢٠٠ .
وتشـارلـز آدمـز : الإسلام والتجديد في مصر ص ١٨٨ ، وحسيب السامرائي : رشيد رضا المفسر ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

إقامة الحجة ودحض الشبهة، وما يحتاجون إليه من العلوم الرياضية والكونية واللغات لأجل ذلك[1].

كما ينص نظام المدرسة على أن اللغة العربية هي لغة التدريس في المدرسة ولغة التخاطب فيها أيضاً. وكان رشيد يوصي طلاب المدرسة بالعناية بالفصحى ويقول: « التزام الفصحى يوماً واحداً خير من قراءة كتاب »[2].

أما أعضاء هيئة التدريس في المدرسة فقد اختيروا من أصحاب الكفاية والعلم في تخصصاتهم وبعضهم أعضاء مؤسسون في جمعية الدعوة والإرشاد نفسها. ومن هؤلاء الدكتور « محمد توفيق صدقي » الذي قام بتدريس علم الصحة وعلم سنن الكائنات، وتولى رشيد رضا نشر كثير من محاضراته في مجلة المنار في أعداد متفرقة[3].

ومع تولي رشيد وكالة الجمعية وإدارة المدرسة فقد تولى التدريس فيها لكثير من علومها الإسلامية، فتولى تدريس

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٢ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٧٨٥ و ٧٨٦ ، ومجلد ٣٥ ص ١٩٧ .

(٣) انظر مثلاً : مجلة المنار مجلد ١٧ ص ٨٥٣ ومجلد ١٨ ص ١٣٣ ، ومجلد ١٩ ص ٣٥٣ .

التفسير والحديث والتوحيد وعلم الكلام وحكم التشريع، والإنشاء والخطابة وآداب المناظرة والبحث[1].

٦ - حرصاً على سلامة المدرسة والجمعية القائمة بها، فقد جاء في نظامها أنها لا تشتغل بالسياسة المصرية ولا العثمانية ولا سياسة الدول الأجنبية مطلقاً، ومع ذلك لم تسلم من كيد الأعداء المرجفين الذين اتهموها بأنها جمعية سرية الهدف منها إسقاط الدولة العثمانية وإنشاء خلافة عربية[2].

٧ - ينص نظام الجمعية والمدرسة بأن كل متبرع للجمعية بمقدار من المال كل شهر وكل سنة فهو عضو فيها. وأعضاؤها أربعة أنواع: مؤسسون، وعاملون، ومعاونون، وأعضاء شرف، ووضع للجمعية عدة لجان: منها لجنة المراقبة المالية التي تتولى حصر أموال الجمعية وطرق صرفها، أما موارد الميزانية المالية للجمعية فيأتي مما

---

(١) عبدالسميع البطل: مرجع سابق: مجلة المنار، مجلد ٣٥ ص ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٥ ص ٩٢٥ و ٩٢٦، ومجلد ١٤ ص ٥٣.
ورشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٥٩٨ و ٥٥٩.

يجود به أهل الخير من الاشتراكات والتبرعات والهدايا والوصايا التي يرجى أن توقف لهذا العمل[1] .

ويجب أن نشير هنا إلى أن الجمعية ومدرستها قد لاقت صعوبات مالية عند إنشائها ـ كما هي عادة أعمال الخير في بلاد المسلمين[2] . ومع ذلك فقد قيض الله لهذا العمل الإسلامي أناساً كان تبرعهم سخياً وتشجيعهم عظيماً، وكان على رأس هؤلاء الشيخ « قاسم بن محمد آل إبراهيم » من كبار تجار الجاليات العربية في بومبي بالهند ـ الذي تبرع للجمعية ومدرستها بألفي جنيه انجليزي « استرليني » تبرعاً مقدماً، كما تبرع بمائة جنيه سنوياً. كما زار الخديوي « عباس حلمي الثاني » المدرسة وتبرع لها بمائة جنيه[3] .

كان إقبال الطلاب المسلمين على هذه المدرسة مشجعاً وعظيماً، دفع برشيد رضا أن يفكر ويعمل لفتح فروع لها

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ١١٤ ـ ١٢٠ و ص ٥٣ .

(٢) صلاح الدين المنجد ويوسف خوري : فتاوى الإمام رشيد رضا جـ١ ص ١٧. ط ١٣٩٠هـ.

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ١٩٣ ـ ١٩٥ .

وانظر : أحداث هذه الزيارة في مجلة المنار ـ المجلد ١٧ ص ٤٦١ وما بعدها، ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٩٨ .

في بعض البلاد الإسلامية كبلاد الهند مثلاً لولا موانع سياسية. حتى إنه فكر في الدعوة إلى مؤتمر إسلامي في مصر تحت إشراف جماعة الدعوة والإرشاد بعد تأسيس فروع لها في الأقطار الإسلامية[1].

٢ - نهايتها وآثارها :

استمرت المدرسة في تأدية واجباتها المنوطة بها. وكانت مدة العام الدراسي بها تسعة أشهر يعقبه إجازة ثلاثة أشهر في أشهر الصيف ونص نظام المدرسة على أنه يجوز لمن شاء من الطلاب في القسم الداخلي أن يقيموا في المدرسة مدة الإجازة الصيفية[2]، فكان عامها حافلاً كله .

ولما مضى على إنشاء المدرسة ثلاث سنوات إلا قليلاً اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى عام **١٣٣٣هـ** (١٩١٤م) فكان من سيئات تلك الحرب أن قطعت الحكومة المصرية إعانة الأوقاف للمدرسة والتي كان يسعى رشيد لمضاعفتها ، عندئذ اضطرت المدرسة أن تكتفي بمن فيها من الطلبة، ولم تلبث أن أغلقت أبوابها نهائياً عام

(١) مجلة المنار - مجلد ١٤ ص ٧٣٧ و ٧٣٨ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٤ ص ٧٨٦ ، ومجلد ١٥ ص ٩٢٧.

١٣٣٥هـ (١٩١٦م)[1] بعد أن ظلت تجاهد بنفسها الأخير سنتين .

وهكذا قدر لهذه المدرسة الإسلامية ألا تستمر طويلاً وأن تموت وهي وليدة، وهي مع قصر حياتها حققت أغراضاً وآثاراً عظيمة[2] :-

١ - فهي تعد أول تجربة للمسلمين في هذا الميدان، مهدت الطريق لمن يأتي بعدها لغرس مثل هذه المدارس في تاريخ الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر .

٢ - كما أنها حققت الوحدة الإسلامية في أسمى معانيها وأصغر صورها فقد اجتمع طلابها من جميع الأجناس والأقطار باسم الإسلام والدعوة إليه .

٣ - ولما أغلقت المدرسة تفرق طلابها في البلاد الإسلامية، بعد أن رضعوا من لبان مدرستهم خمس سنين، فتشبعوا بآرائها، وتحمسوا لأهدافها، فكان

---

(١) صلاح المنجد ويوسف خوري : مرجع سابق جـ ١ ص ١٩ .

(٢) عبدالسميع البطل : مرجع سابق - مجلة المنار - مجلد ٣٥ ص ١٩٧ و ١٩٨ .

منهم المشتغل بالتربية والتعليم والمشتغل بالصحافة والتحرير، والمشتغل بالوعظ والإرشاد، والمتصل بالملوك ورجال السياسة ومن هؤلاء « يوسف ياسين » رئيس الشعبة السياسية والسكرتير الخاص للملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، والشيخ « أمين الحسيني » مفتي فلسطين وزعيمها السياسي في ذلك الوقت والشيخ « عبدالرازق المليح آبادي » العالم والصحافي الهندي المشهور والشيخ « محمد بسيوني عمران » في جاوة بأندونيسيا والشيخ « محمد بهجت البيطار » في سوريا والشيخ « محمد حامد الفقي » رئيس أنصار السنة المحمدية بمصر، والشيخ « محمد عبدالرازق حمزة » و« الشيخ عبدالظاهر أبو السمح » وكلاهما من أئمة الحرم المكي وغيرهم[1].

٤ ـ ولا ننس أن نشير إلى الأثر الذي تركته المدرسة وجمعيتها في نشر الدعوة إلى السلفية ومحاربة أنواع

---

(١) عبدالسميع البطل : مرجع سابق مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ١٩٩، وعبدالرحمن عاصم : السيد رشيد رضا ـ مجلة المنار مجلد ٣٥ ص ٤٨٦ و ٧١١.

البدع والخرافات في المجتمع الذي عاشت فيه، حتى أن رشيداً ذكر أن جماعة الدعوة والإرشاد قد وثقت علاقتها مع مشيخة الطرق الصوفية في مصر مما يمهد السبيل للمرشدين الذين يتخرجون من هذه المدرسة إلى العمل في إصلاح بدع الطرق الصوفية[1].

واستمر رشيد يعمل من أجل إعادة فتح أبواب مدرسة الدعوة والإرشاد، وبقي ذلك شغله الشاغل لسنوات عديدة[2].

وتوفي رشيد دون أن يحقق أمنيته في عودتها.

٥ ـ بقي أن نشير هنا إلى أن إنشاء رشيد تلك المدرسة كانت تجربة فريدة من نوعها في تاريخ الدعوة إلى الإسلام،

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٧ ص ٤٦٨.

(٢) أحمد الشرباصي: رشيد رضا ـ الأديب الكاتب الإسلامي ص ١٦٣.
ويذكر عبدالرحمن عاصم أن رشيداً حاول إقناع بعض الزعماء المسلمين بفتح مدرسة الدعوة والإرشاد في بلادهم مثل الملك فؤاد بمصر، ومصطفى أتاتورك في تركيا والملك عبدالعزيز آل سعود في البلاد العربية السعودية. ولكن رشيد لم يوفق في هذه المجالات.
انظر: عبدالرحمن عاصم: المرجع السابق مجلد ٣٥ ص ٧١٢.

فكانت فاتحة خير لإنشاء مثل هذه المدارس نذكر منها قسم الدعوة والإرشاد في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر الذي خرّج علماء متخصصين في الوعظ والإرشاد مدة اثنتين وثلاثين سنة. ثم حوّل هذا القسم إلى « معهد الدعوة والإرشاد » حسب نظام جامعة الأزهر لعام ١٣٨١هـ (١٩٦١م)[1].

وخطت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض خطوة كبيرة في هذا المجال وذلك بإنشائها « كلية الدعوة والإعلام» عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) ثم كلية للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة لتخريج علماء متخصصين في مجال الدعوة إلى الإسلام ينالون درجات علمية عالية في هذا المجال « ماجستير ودكتوراه » وتقبل تلك الكلية والمعهد جميع الطلاب الذين نالوا شهادات جامعية سواء من كليات نظرية أو علمية[2].

---

(١) حسيب السامرائي : رشيد رضا المفسر ص ٣٠٥ .

(٢) انظر دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٥هـ، كما يوجد في الجامعة أقسام للدعوة الإسلامية في بعض كليات الجامعة بالرياض والقصيم لنيل الشهادة الجامعية (بكالوريوس) في الدعوة الإسلامية .

جـ) سعيه في إصلاح الأزهر :

كان عام ٣٦٠هـ (٩٧٠م) هو العام الذي أسس فيه جامع الأزهر في عهد حكم الفاطميين لمصر، وكان الغرض الأول من إنشائه بث دعوتهم الشيعية الرافضة في العالم الإسلامي .

وفي عام ٥٦٧هـ (١١٧١م) قضى السلطان الإسلامي المجاهد « صلاح الدين الأيوبي » على الفاطميين ودعوتهم في مصر، فدخل الأزهر بذلك في حوزة أهل السنة[١].

وكانت طريقة التعليم في داخل الأزهر تقوم على الحرية. فالطالب موكول بشيخه وليس هناك منهج يحدده أو زمن فإذا ما انتهى الطالب من هذا الشيخ قد ينتقل إلى شيخ آخر، وهي طريقة تشبه إلى حد كبير نظم التعليم في الجامعات الحديثة في عصرنا الحاضر من حيث سياسة طلبتها، سياسة تقوم على الحرية في التعليم والمسؤولية الفردية[٢]، لذلك نبغ من الأزهر على هذه الطريقة علماء

---

(١) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٦ و ٧ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم : تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ١٠- ١٣، مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٨م.

بارزون في مختلف العلوم الإسلامية والعربية.

ثم أخذ الأزهر يرجع القهقرى بعد ذلك للأسباب الآتية :-

١ ـ عقم طريقة التعليم التي نهجها شيوخه وذلك بتفضيل مصنفات المتأخرين على كتب الأئمة الأولين[1]. وكانت كتب المتأخرين تشتمل على حواش ثم شرح لهذه الحواشي وتقارير لهذه الشروح وهكذا. فأصبح همّ الطالب وشيخه تحليل هذه الشروح والحواشي والتقارير، وصار الطالب يقضي السنوات الطوال في الأزهر دون أن يعرف التكلم بالفصحى أو يكتب فيها مثلاً.

٢ ـ أهمل الأزهر علوماً مهمة عليها مدار الدراسات الإسلامية وذلك كعلم الحديث ومصطلحه.

٣ ـ أن الأزهر فقد مكانته في مجتمعه فلم يعد له دور في النواحي السياسية والاجتماعية والإصلاحية.

٤ ـ دخل الاستعمار الأوروبي في مصر وأدخل معه علوماً وفنوناً مختلفة بقي الأزهر في عزلة عنها دون أن يحاول

---

(١) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ص ٥٠.

الاستفادة من هذه العلوم فيما يعود بالمجتمع الإسلامي نحو التقدم العلمي في دائرة الإسلام .

٥ - لم يكن للأزهر دور كبير في اشعال حماس المجتمع وعداوته للاستعمار الأوروبي الذي اغتصب البلاد ومنافعها الاقتصادية وقضى على عزتها الإسلامية[١] .

٦ - انتشار أنواع البدع والخرافات والتقاليد والعادات البعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه والتي أفسدت العقائد والأخلاق، والأعمال، وروجت في المسلمين أسواق الدجل والخرافات وما يتبعها من الفواحش والمنكرات ولا سيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد. ومع ذلك لم يقم الأزهر وعلماؤه بدور يذكر في محاربة أمثال هذه البدع والمفاسد بل اشترك بعض شيوخ الأزهر فيها، وسكت غير المشتركين عن إنكارها ومحاربتها[٢] .

كل هذه المساوىء جعلت عملية الإصلاح في الأزهر

---

(١) عبدالمتعال الصعيدي : المجددون في الإسلام ص ٥٢١ ، ط الأولى ، وأحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٣١٠ .

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٥٠ .

من أهم متطلبات ذلك العصر بعد أن فقد الأزهر مكانته اللائقة به مدة أربت على القرنين من الزمان .

وجاء علماء دعوا إلى إصلاح الأزهر وعلى رأسهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[1] .

وفي رجب سنة (١٣١٥هـ - ١٨٩٧م) رحل رشيد رضا إلى مصر وفي أول اتصال بين رشيد وشيخه محمد عبده دارت الأحاديث بينهما حول موضوعات إصلاحية أهمها إصلاح الأزهر[2] . لذلك صارت مجلة المنار هي لسان حال الإصلاح في الأزهر بزعامة الشيخ محمد عبده وأقوى مظاهر وناصر له[3] .

كما وقف رشيد موقفاً حازماً أمام تساهل علماء الأزهر في انتشار البدع والخرافات في المجتمع ، بل اشتراك كثير منهم فيها ، وذلك مثل بدع الموالد كلها ، وبدع تعظيم القبور

(١) غازي التوبة : الفكر الإسلامي المعاصر - دراسة وتقويم ص ١٢ و ١٣ . وعبدالمتعال الصعيدي : تاريخ الإصلاح في الأزهر ص ٤٥ - ٤٨ ، ط ١٩٥١م .

(٢) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٤٢٥ ، والمنار والأزهر ص ٩ .

(٣) مجلة المنار - المجلد الأول ص ٨٢٢ - ٨٢٦ - الطبعة الثانية .

والتبرك بأصحابها ومزاولتهم أنواع الشركيات عندها. وكتب في المنار عدة مقالات في هذا الموضوع[1].

وحينما أقيمت احتفالات في مصر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس محمد علي حكمه في مصر واحتفل ديوان الأوقاف بذلك في المساجد وخاصة في الجامع الأزهر، كتب رشيد رضا نقداً لاذعاً قال فيه: « إن المساجد بيوت الله ولا يصح أن تزين للاحتفال بذكرى الملوك والأمراء المستبدين وكان ذلك عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) كما كتب الشيخ محمد عبده مقالة طويلة في المنار في مساوىء حكم محمد علي في مصر ووقع المقال بإمضاء « مؤرخ »[2].

ولم يلبث أن توفي الشيخ محمد عبده في جمادى الأولى سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) فلم يغير رشيد من خطته وخطة المنار في السعي نحو إصلاح الأزهر بل استمر بنفس الحماس الذي كان عليه[3].

---

(١) انظر مثلاً مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٣١٨، والمجلد الثاني ص ٧٢.

(٢) إبراهيم العدوي: مرجع سابق ص ١٩٩.
ورشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٨٠ ـ ٥٩٠.

(٣) رشيد رضا: المنار والأزهر ص ٢٠١ و ٢٥٠ ـ ٢٥٢.

ويرى « جومييه » Jomier أن إنشاء رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد في تلك الفترة كان بعد أن يأس من نجاحه في إصلاح الأزهر[1]. وفي رأينا أن إنشاء رشيد تلك المدرسة يعتبر دعوة من دعوات رشيد لإصلاح الأزهر. فقد لاقى رشيد في هذا المجال مصاعب شتى من شيوخ الأزهر في هذه المسألة وكان من أبرز من وقف أمام رشيد في ذلك الشيخ « يوسف الدجوي » (١٢٨٧ ـ ١٣٦٥هـ) وقد بدأ ذلك سنة ١٣٤٨هـ حينما كتب رسالة في الطعن على متبعي السلف من عهد شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن وصل إلى الشيخ محمد عبده ومجلة المنار كما كتب في مجلة الأزهر المسماة « نور الإسلام » عدة مقالات في تأييد البدع الفاشية عند العامة ولا سيما بدع القبور ومنكراتها، والطعن على السلفية بعامة ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخاصة[2]. بل

---

(١) Jomier, Op, cit, PP. 39-41

(٢) انظر : مجلة نور الإسلام : المجلد الأول ص ٥٨٨ ، والمجلد الثاني ص ٢٩ و ١١٤ ومجلد ٣ ص ٣٦٤ و ٣٣٠ ـ ٣٤٠ ، ومجلد ٤ ص ٢٥٥ ـ ٥٦٠ .

وانظر : ترجمة الشيخ يوسف الدجوي في الزركلي: الأعلام جـ ٩ ص ٢٨٧

جمع مقالاته تلك في كتاب أسماه « صواعق من نار في الرد على صاحب المنار » الذي اشتمل كذلك على الطعن في الدعوة السلفية عامة وزعمائها وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية[1]. وقد وجد الدجوي تشجيعاً من شيخ الأزهر حينذاك وهو « محمد الأحمد الظواهري ».

فاضطر رشيد حينئذ إلى تأليف كتاب أسماه « المنار والأزهر » اشتمل على مقدمة في ماضي الأزهر وحاضره ومستقبله ومساوىء مشيخة « الظواهري » في الأزهر كما ضمنه مقالاته في الرد على « يوسف الدجوي » وكتاباته في مجلة الأزهر « نور الإسلام »[2].

واستمر الجو متوتراً بين المنار والأزهر حتى عاد الشيخ « محمد مصطفى المراغي » إلى مشيخة الأزهر عام

---

(١) يوسف الدجوي : «صواعق من نار في الرد على صاحب المنار ص ٢٣ ـ ٢٧ ، وص ٤٦ و ٥٠ طبع على نفقة عبدالرافع نصر ط التقدم التجارية، وانظر : د. صلاح المنجد : دراسة عن القصيمي ص ٢٢ ـ ٢٥ الطبعة الثانية عام ١٩٧٢م .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢ : وانظر : ترجمة الشيخ (محمد أحمد الظواهري) في الزركلي : الأعلام جـ ٦ ص ٢٤٩.

١٣٥٤هـ قبيل وفاة رشيد ـ بعد استقالة الشيخ الظواهري منها بسبب ثورة شيوخ الأزهر عليه. وبعودة المراغي إلى الأزهر عادت فرصة إصلاح الأزهر لأن الشيخ المراغي كان محباً للإصلاح وكان من تلاميذ الشيخ محمد عبده فرحب بعودته دعاة الإصلاح وعلى رأسهم مجلة المنار[1]. وعندما توفي رشيد رضا نعته مجلة الأزهر « نور الإسلام » إلى قرائها تحت عنوان « فقيد العلم والدين »[2].

ولا يغيب عن بالنا أن صيحة رشيد رضا تلك في إصلاح الأزهر لم تذهب هباء فهو يذكر لنا أن جميع المبادىء الإصلاحية التي نادى بها لإصلاح الأزهر قد أخذ بها كلها ما عدا العناية بعلوم السنة[3].

وهذه المبادىء هي[4] :

١ ـ الدعوة إلى استقلال الفكر وحرية العقل في العلم واجتناب تقليد العلماء .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢) مجلة نور الإسلام ـ المجلد السادس ص ٥١٠ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢ و ص ٢٥٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢ ، ومحمود أبو رية : السيد محمد رشيد رضا ، مجلة الرسالة (يوليو وديسمبر ١٩٤٠م) ص ١٣٥٧ .

٢ ـ إبطال البدع والخرافات والتقليد والعادات ولا سيما بدع الموالد وعبادة القبور والمشاهد .
٣ ـ الرجوع إلى هداية القرآن والسنة النبوية وهو يتوقف على إحياء علوم التفسير والسنة وآثار السلف في الأزهر .
٤ ـ إصلاح نظام التربية والتعليم والتصنيف بالأساليب العصرية .
٥ ـ الدعوة إلى ادخال جميع علوم العمران البشري في الجامع الأزهر ومعاهد التعليم التابعة له . وقد تحمس رشيد للدعوة إلى هذه الناحية في الأزهر وغيره، وهو يرى أن العلوم الرياضية والطبيعية « محور الثروة والقوة في الأمة ويجب أن تعلم مع الدين وأن يقوم بتعليمها رجال الدين أنفسهم لأن تركها للملحدين والمتفرنجين يجعلها خاصة بهم وهؤلاء لا يرجى منهم خير للأمة والملة[1] .
٦ ـ الدعوة إلى اتباع سنة التخصص في العلوم والفنون .
٧ ـ إعادة ثقة الأمة بالعلماء إلى ما كانت عليه في عصور

(١) مجلة المنار ـ المجلد الثاني ص ٦٩ ، ورشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٠٨ .

الإسلام الحية وذلك باستعدادهم لتربية نشئها وتعليمه جميع العلوم والفنون وتأثيرهم في جميع مصالح الأمة الشرعية والسياسية والاجتماعية وبهذا تعود منزلتهم العزيزة بين أمتهم .

٨ ـ دعوة علماء الأزهر إلى الدفاع عن الإسلام بالرد على الملاحدة ودعاة النصرانية ودحض شبهاتهم وإبطال اعتراضاتهم بالدلائل النقلية والعقلية .

٩ ـ الوعظ والإرشاد للمسلمين في مساجدهم ومجتمعاتهم وقراهم ومزارعهم وبدوهم وحضرهم .

١٠ ـ الدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب بعد الاستعداد لها، ومنه تعلم لغات الأقوام التي يراد تبليغها .

ومهما يكن من أمر فيمكن القول أن جهاد رشيد في سبيل إصلاح الأزهر قولاً وعملاً قد لاقى كثيراً من النجاح، وإن كان ذلك لم يقدر له أن يمضي في أرض سهلة مما جعل النتائج الإيجابية لدعوة رشيد تلك إلى مبادئه العشرة السابقة تأتي تدريجية ولكنها على كل حال كانت نهايتها مشجعة جداً .

ثانياً : رشيد والإصلاح السياسي

يعتبر رشيد رضا من علماء المسلمين القلة في العصر الحديث الذين كانت لهم في الميدان السياسي جهود وأعمال إصلاحية واسعة النطاق.

ومع أن رشيد يرى أن السياسة مثار الفتن ومصدر الإفك والكذب[1] نجد رشيد رضا قد اشتغل بالسياسة العربية والإسلامية في وقت مبكر. ويعلل « جوميه » ذلك بقوله: « لما كان الدين والسياسة شيئاً واحداً في نظر الإسلام، فقد كان رشيد منطقياً مع نفسه حين نزل إلى الميدان السياسي»[2].

وقبل أن ندخل في الحديث عن جهود رشيد رضا في ذلك الميدان يجب أن نشير إلى أمرين مهمين :-

أولهما: قد يجد الباحث تناقضاً بيِّناً في مواقف رشيد

---

(١) مجلة المنار - مجلد ١٤ - ص ٦ .

(٢) Jomier, Op, cit, PP. 41,42

السياسية بسبب سرعة التغيرات السياسية في عهده، فقد رأينا رشيد يعمل ضد السلطان عبدالحميد الثاني ويعاون جمعية الاتحاد والترقي، ثم ينقلب على هذه الجمعية وحكمها، وبعد ذلك نراه يشتغل مع الشريف حسين ملك الحجاز بحرارة، ثم انقلب عليه وانصرف إلى آل سعود وظل وفياً لهم حتى مماته[1].

ثانيهما: تنبع نظرة رشيد رضا للسياسة من شخصيته المسلمة فهو يرى أن للإسلام مزايا تشريعية وسياسية لو طبقت لعم العدل والرخاء شعوب المسلمين[2]. وهو يسير مع سرعة السياسة بحسب نظرته الإسلامية. فقد يسير مع اتجاه سياسي معين أو مع شخصية سياسية معينة كجمعية الاتحاد والترقي وكالشريف حسين ـ ثم يتبين له انحراف اتجاه هذه الشخصية السياسية عن النظرة الإسلامية الحقة فينقلب إلى غيرها وهكذا.

وتبرز مواقف رشيد رضا السياسية في الأمور التالية :ـ

---

(١) صلاح الدين المنجد ويوسف خوري : فتاوى الإمام محمد رشيد رضا جـ١ ص ٢٢.

(٢) رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٢١١ ، ط ١٣٨٠هـ.

(أ) رشيد والدولة العثمانية :

كان رشيد يحس بالأخطاء التي ترتكبها الدولة في سياستها الداخلية والخارجية ويود لو أتيح له المجال بشكل واسع لتقديم النصائح ونشر أفكاره الإصلاحية[1]. ولكن الحرية لم تكن موجودة لنشر ذلك، فهاجر رشيد رضا إلى مصر عام ١٣١٥هـ وأصدر هناك مجلة المنار لنشر نصائحه وأفكاره الإصلاحية.

ومن الأمور التي أساءت إلى رشيد رضا من سياسة الدولة العثمانية تصرف الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي[2] وكان رجلاً متصوفاً مقرباً من السلطان عبدالحميد وله سلطة دينية واسعة، ويتعصب للطريقة الرفاعية وكان يكره جمال الدين الأفغاني ويسبه. لذلك لم تكن علاقته مع رشيد طيبة خاصة بعد تأليف رشيد كتابه « الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية » للرد على

---

(١) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ١٣ .

(٢) ولد عام ١٢٦٦هـ (١٨٤٩م) وبعد خلع السلطان عبدالحميد نفي إلى جزيرة الأمراء في زينكيبو فتوفي بها عام ١٣٢٨هـ (١٩٠٩م).
انظر : خير الدين الزركلي : الأعلام جـ ٦ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ .

كتابات أبي الهدى الصيادي عن التصوف[1].

أما مجلة المنار فقد منعتها الحكومة العثمانية من الدخول إلى جميع ولاياتها قبل أن يتم لها نصف سنة وذلك بإرادة سلطانية، بل أصبح وجود المنار عند أي إنسان ذنباً يعاقب عليه[2].

وبعد وفاة الشيخ محمد عبده ووالد رشيد سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) اشترك رشيد في تأسيس «جمعية الشورى العثمانية» وذلك لأجل جمع كلمة العثمانيين على استبدال حكومة الشورى بحكومة المستبدين - كما يقول رشيد - وقد انتخب رشيد رئيساً لمجلس إدارة اللجنة المؤسسة لهذه الجمعية[3].

وفي سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) تمكنت جمعية الاتحاد والترقي من الوصول إلى الحكم في الآستانة وخلع السلطان عبدالحميد الثاني ونفيه إلى «سلانيك» ففرح بذلك رشيد

---

(١) رشيد رضا: المنار والأزهر ص ١٨٩.

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٢ ص ٣ - ١٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣ - ١٣.

وكتب فيه مقالاً ثائراً بعنوان « إحدى الكبر وكبرى العبر »[1].

واجتهد الاتحاديون بالدعوة إلى « الطورانية » والتي تعني تتريك جميع شعوب الدولة وأخذ رشيد يسدي النصح والإرشاد للدولة لتغيير سياستها ولرفع التفرقة بين الترك والعرب، وكتب في ذلك عدة مقالات، كما سافر إلى الأستانة مستهدفاً هذا الغرض مع السعي لتأسيس مدرسة الدعوة والإرشاد ـ كما سبق ـ ولكن الهوة اتسعت بين الترك والعرب[2]. وكانت الطورانية غرضها الأصلي صبغ الدولة بالصبغة التركية البحتة، والانفصال عن الإسلام والعروبة[3].

وبدأ رشيد رضا بعد ذلك يغير موقفه من الاتحاديين، وأخذ يسيء الظن بهم وبجمعيتهم جمعية الاتحاد والترقي، ويحذر من أخطار رواج الماسونية فيها على المسلمين جميعاً[4].

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٢٧٦ ـ ٢٨٨ .
(٢) انظر : مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٩١٣ ـ ٩٣٢ والمجلد ١٧ ص ٣٠٦ .
(٣) أحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ص ٣٧ .
(٤) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٣١٨ .

كما ذكـر رشيد بأن الاتحـاديين اتفقـوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبدالحميد الواسعة، وعلى تمهيد الأسباب لامتلاكها البلاد المقدسة في فلسطين لإقـامـة ملك إسرائيل فيها[1] . وكأني برشيد ـ بعد هذا ـ يتمنى عودة أيام حكم السلطان عبـدالحميد الثاني ـ على مساوئها ـ والتي لا يمكن أن تصل إلى درجة مساوىء هؤلاء الاتحاديين بحال من الأحوال .

ومـع ذلك كله فقد ظل رشيد يؤمن بالرابطة العثمانية لأنها قائمة عنده على أساس العقيدة الإسلامية، وإن كان مع ذلك يؤمن بالاستقلال العربي في إطار الأخوة الإسلامية[2] .

كما كان رشيد يرى وجوب بقاء الدولة العثمانية لأنها دولة الخـلافة الإسلامية ولكنه يرى ضرورة مقاومة الاتحاديين وحكمهم المارق من الدين، ولهذا ضيق عليه الاتحاديون حتى أنهم حكموا عليه بالإعدام مرتين أو أكثر[3] .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٦ ص ١٤٥ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ٤٤٧ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٩ ص ١٤٩ و ١٥٩ ، ورشيد رضا ـ المنار والأزهر ص ١٦٣ .

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا وألمانيا ظهرت أسرار معاهدة «سايكس بيكو» بين الحلفاء لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بينها. ثم جاءت سنة ١٩٢٣م وهي السنة التي تمكن فيها «مصطفى كمال أتاتورك» من الانتصار على اليونان وأعقب ذلك إلغاؤه الخلافة نهائياً، ونفي الخليفة من بلاد الأتراك وتحويل دولته التركية إلى دولة علمانية، فحزن لذلك كثير من المسلمين وعلى رأسهم رشيد رضا الذي وصف مصطفى كمال أتاتورك بالإلحاد والمروق من الدين الإسلامي[1].

وأخذ رشيد يدعو إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وذلك باختيار أهل الحل والعقد في الأمة بسعي الحزب الوسط وهو حزب الإصلاح الإسلامي المعتدل الذي جعله رشيد وسطاً بين الجامدين والمتفرنجين[2].

وبجانب ذلك فقد عمل رشيد بحماس على إعادة الخلافة الإسلامية فدعا إلى عقد مؤتمر للخلافة في مصر عام ١٣٤٣هـ (١٩٢٤م) فكتب إلى جاوة والجزائر والهند

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٩ ص ٦٢١.

(٢) رشيد رضا: الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٦٩. ط ١٣٤١هـ.

وحضرموت وغيرها من الممالك الإسلامية، وتم انعقاد المؤتمر في السنة المذكورة. ولكن لم تكن نتيجته مشجعة[1].

واستمر رشيد حتى وفاته عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م) وعودة الخلافة الإسلامية هي أمله الأكبر، بل جعلها هي الأمل الدائم للرأي العام الإسلامي[2].

(ب) رشيد والشريف حسين:

لما كشف الأتراك الاتحاديون هدفهم الأساسي في تتريك الدولة العثمانية ـ كما مر ـ أظهر العرب تمسكهم بحقوقهم في الدولة حتى إذا اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وانضمت تركيا إلى ألمانيا ضد انجلترا وفرنسا أعلن الشريف «حسين بن علي» ثورته ضد الأتراك في عام ١٣٣٤هـ (أكتوبر ١٩١٦م) منحازاً إلى جانب الإنجليز، وقد أبدى رشيد إعجابه وتأييده لهذه الثورة ووصفها بأنها أعظم خدمة للإسلام والمسلمين لأن الخطر كان قد أحاط بالدولة وكان من الضروري أن يخاف الحسين وقوع القضاء

---

(١) شكيب أرسلان: مرجع سابق ص ٣٥٢ و٣٥٣ وص ٤٤٤ ـ ٤٥٠.

(٢) Laoust, Op,cit, PP. 572, 573.

بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم وسياجهما من جزيرة العرب مما يسقط بسقوطها[1] .

وفي هذا العام (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م) حج رشيد رضا والتقى بالشريف حسين معجباً به مثنياً على أخلاقه[2] .

وبعد عودة رشيد من الحجاز بويع الشريف حسين ملكاً على العرب في المحرم ١٣٣٥هـ، وقد نشر رشيد رضا منشور هذه البيعة في مجلة المنار[3] . إلا أن الباحث يحس من تعليق رشيد أنه غير موافق تماماً لهذا العمل وإن صرح بوجوب الاستقلال، لكن لم يصرح بوجوب مبايعته ملكاً للعرب جميعاً .

وعلى أية حال فإن العلاقة بين رشيد رضا والشريف حسين بدأت بالفتور بعد ذلك شيئاً فشيئاً، وانتهى ذلك بإصدار الشريف حسين أمراً بمنع دخول مجلة المنار إلى الأراضي الحجازية، وقد نشر رشيد رضا قرار المنع هذا في مجلة المنار في مجلدها الثاني والعشرين الصادر في سنة

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٩ ص ١٦٧ و ٢٤١ و ٣٦٩ و ٤٨٩ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٩ ص ٣٠٧ ـ ٣١٠ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٩ ص ٤٣٥ ـ ٤٤١ .

(١٣٤٠هـ - ١٩٢١م)[1] ، وقد ورد في القرار أن سبب المنع ما ورد في مجلة المنار من التعريض بحكومة الشريف .

وعلى كل فقد أخذت العلاقة تسوء بين رشيد رضا وحكومة الحجاز، وأخذ رشيد رضا يبين مساوىء وأخطاء ثورة الحسين وأسرارها، فيذكر أن الشريف حسين كان متفقاً مع بريطانيا قبل ثورته على أن يحكم بلاد الجزيرة العربية وسوريا والعراق تحت قوة بريطانيا[2] .

ثم أخذ يكتب في النزاع القائم بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (عبدالعزيز آل سعود) فذكر أن رجال الجامعة الإسلامية أعداء بريطانيا يفضلون سيادة ابن سعود في الحجاز على سيادة الشريف حسين وأولاده. ثم ذكر أن الواجب على المسلمين انقاذ الحرمين الشريفين منه[3]. وكان المرشح الوحيد لهذا العمل هو السلطان (عبدالعزيز آل سعود) الذي سار بجيشه لضم الحجاز،

---

(١) مجلة المنار - مجلد ٢٢ ص ٧١٨ و ٧١٩ .

(٢) مجلة المنار - مجلد ٢٢ ص ٤٤٩ .

(٣) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٣٦٤ ، ومجلة المنار - مجلد ٢٤ ص ٥٩٣ و ٦١٦ إلى ٦١٨ .

وتم له ذلك عامي ١٣٤٣هـ و١٣٤٤هـ بضم الطائف ثم مكة ثم المدينة ثم جده. وبذلك دخل الحجاز تحت الحكم السعودي[١].

أما رشيد رضا فقد كان في تلك الأثناء يكتب العديد من المقالات في المنار والأهرام وغيرهما في تأييد ابن سعود وبيان مساوىء الشريف حسين في الحجاز التي سببت زحف النجديين عليه[٢]. كما قام رشيد بالرد على تشويهات حكومة الحجاز لعقيدة أهل نجد ودعوتهم السلفية وبذلك دافع رشيد في هذه المقالات عن أهل نجد دينياً وسياسياً. وقد جمعها في كتاب أسماه «الوهابيون والحجاز»، نشرته مطبعة المنار في تلك الفترة.

وحينما توفي الحسين بن علي في عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) نشر رشيد خبر وفاته في مجلة المنار مع ترجمة قصيرة عنه وعلاقته به، وصفاته الطيبة التي لاحظها فيه مع الصفات الأخرى[٣].

---

(١) خير الدين الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز جـ ١ ص ٣٢٠ إلى ٣٥٠. ط ١٣٩٧هـ.

(٢) رشيد رضا: الوهابيون والحجاز ص ٢٠ ـ ٢٨ ط ١٣٤٤هـ.

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ٣١ ص ٧١٨.

(جـ) رشيد والملك عبدالعزيز آل سعود :

يمكن القول أن علاقة رشيد رضا بالملك عبدالعزيز آل سعود والدولة السعودية هي من أقوى العلاقات التي قامت بين رشيد وزعماء العالم الإسلامي والعربي في عهده. والشيء المهم الذي يميز هذه العلاقة هي أنها كانت علاقة مستمرة متواصلة لم يطرأ عليها أي تغيير في مراحلها المختلفة، تقوم على الاحترام المتبادل بين الشخصيتين .

وغني عن البيان أن هذه العلاقة القوية بين الشخصيتين قامت على أساس اعتناقهما العقيدة السلفية[1] .

وليس معنى ذلك أن رشيد رضا أيد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بسبب علاقته الحسنة بالملك عبدالعزيز، بل العكس هو الصحيح يدل على ذلك أن رشيد رضا كان يدافع عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قبل أن تقوم أية علاقة بينه وبين الملك عبدالعزيز، كما حصل ذلك عام ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) حينما هاجم رشيد الاحتفالات التي أقيمت بمرور مائة عام على حكم أسرة محمد علي مصر.

---

(١) محمد حامد الفقي : أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب ص ٤٥ . ط ١٣٥٤هـ.

وبين رشيد في هجومه مساوىء حكم محمد علي وذكر أن من أبرزها قضاؤه على الوهابيين في بلاد نجد والقضاء على ما نهضوا به من الإصلاح الديني والسياسي في جزيرة العرب[1]. ومعروف أن الملك عبدالعزيز في ذلك الوقت لم يكن قد استولى إلا على « الرياض » والمناطق الجنوبية القريبة منها ولم يكن قد ذاع صيته السياسي بعد.

ووقف رشيد أيضاً مناصراً لابن سعود في صراعه مع الشريف حسين ـ كما مر ـ.

أما خلاف عبدالعزيز بن سعود مع الإمام يحيى إمام اليمن فقد وقف فيه رشيد رضا موقف الداعي إلى الصلح والاتفاق بين الإمامين وتسوية خلافاتهما بروح طيبة بل أرسل وفداً للصلح[2]، ولعل هذا الموقف المحايد من رشيد كان بسبب إعجاب رشيد بالإمام يحيى لحرصه على حماية بلاده من أية سيطرة أجنبيه. ولكنه لا يصل إلى درجة إعجابه بالملك عبدالعزيز آل سعود.

يقول هنري لاوست: « وكان انهيار تركيا كقوة إسلامية

---

(١) رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام جـ ١ ص ٥٨٣.

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ٤٨٤.

وقيام الحكم العلماني الكمالي ما جعل « رشيد رضا » يلقي بثقله نحو الحنبلية الجديدة المحافظة المناضلة المجددة في الدولة الوهابية التي كانت قد أفلتت حتى ذلك الحين من التغلغل الأوروبي[1].

وكما أيد رشيد الملك عبدالعزيز في سياسته الخارجية، فقد أيده في إصلاحاته الداخلية لبلاده، وذكر أنه عمل في الجزيرة العربية أعمالاً لم يسبق لها نظير إلا في صدر الإسلام وذلك بتحويله الأعراب إلى التوحيد والعلم والحضارة، وتوجيههم الوجهة الإسلامية الصحيحة كما وقف رشيد مؤيداً للملك عبدالعزيز في حربه ضد « الأخوان » وقضائه على فتنتهم، ونشر تفاصيل ذلك في مجلة المنار[2].

وكانت هناك مراسلات كثيرة بين رشيد والملك عبدالعزيز وهي تدور حول موضوعات متنوعة : فمنها ما يتصل بنواحي سياسية ، ومنها ما يتصل بنواحي شرعية ، ومنها ما يتصل بنواحي علمية، وبعضها يتصل بنواحي مالية[3].

---

(١) Laoust, Op, cit, P. 562.

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٠ ص ٣٩٤ .

(٣) أحمد الشرباصي : رشيد رضا ـ الأديب الكاتب الإسلامي ص ١٦٨ .

والشيء المهم في هذه الرسائل التي يرسلها رشيد إلى الملك عبدالعزيز أنها تحمل ألواناً من النصائح التي يوجهها رشيد إلى الملك عبدالعزيز فيتقبلها الملك بصدر رحب رغم ما تحمل بعض تلك النصائح من الشدة في الأسلوب[1].

وقد ذكر رشيد أنه يسلك في نصيحته للملك عبدالعزيز طريقة السلف الصالح في موعظة الخلفاء والأمراء وأن الملك عبدالعزيز يحب هذه الطريقة[2] ولم تكن نصائح رشيد كلها كتابية بل إن بعضها مشافهة، ولنستمع إلى رشيد رضا وهو يحدثنا عن أول مجلس جلسه مع الملك عبدالعزيز بعيد ضمه الحجاز حيث يقول: «قلت لابن سعود في أول مجلس جلسته إليه عقب وصولي إلى مكة المكرمة : لقد أوذيتم من قبل ومن بعد فصبرتم، فنصركم الله كما وعد الصابرين، فحق لقومك أن يمتثلوا ويعتبروا بما حكاه الله تعالى عن بني إسرائيل مع موسى عليه السلام بقوله :

---

(١) عبدالرحمن عاصم : السيد محمد رشيد رضا : مجلة المنار، مجلد ٣٥ ص ٤٨٣ إلى ٤٨٥ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٣٢ .

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [1].

فعليكم أن تحسنوا عملكم بشكر هذه النعمة، فإن الله تعالى ينظر كيف تعملون، فيجزيكم به. فأجابني قائلاً: « إننا والله لا نخاف إلا من القرآن ـ فتأملوا هذا الجواب يا أولي الألباب »[2].

ولقد كانت كثير من الرسائل بين رشيد والملك عبدالعزيز تبحث في نواحي سياسية يعيشها العالم العربي والإسلامي حينذاك إلا أن هذا النوع من الرسائل كان يخضع لرقابة شديدة من قبل دوائر الاستعمار البريطاني[3].

وكان للأمور الشرعية الإسلامية والأمور المالية نصيب من موضوعات الرسائل بين رشيد رضا والملك عبدالعزيز، أما الأمور الشرعية فتبحث في نواح عقائدية وأحكام فقهية

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٢٩.

(٢) رشيد رضا : المرجع السابق ص ٢٦٦ .

(٣) مكي الطيب شبيكة : العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى ص ٤٠ و ٤١ ط ١٩٧٥م معهد البحوث والدراسات العربية.

دارت بين رشيد وعلماء نجد بواسطة الملك عبدالعزيز[1].

وأما الأمور المالية فهي تبحث في تسديد قيمة طبع الكتب السلفية التي تقوم بطباعتها مطبعة المنار على حساب الحكومة السعودية[2]. وكثير من تلك الكتب تبحث في مبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية كما سبق.

ومما ينبغي ذكره هنا أن علاقة رشيد بالملك عبدالعزيز تعرضت لهجوم عنيف من قبل أعداء رشيد في مختلف الأمصار الإسلامية، فهاجمته أقلامهم المختلفة واتهموه بأنه «وهابي يحصل من وراء نصرته لابن سعود أموالاً طائلة».

وفي الجزء السادس من المجلد الثامن والعشرين يكتب رشيد مقالاً خاصاً بعنوان أموال ابن سعود التي اتهم بها صاحب المنار يقع فيما يقارب عشر صفحات، جمع فيه رشيد جميع التهم الموجهة إليه بأخذ أموال من ابن سعود وشرح بطلانها كلها ثم يذكر: أنه لو صح أن المنار يتلقى أموالاً من ابن سعود ـ وما هو بصحيح ـ لما صح أن يجعل

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٩ ص ١٤٧ .

(٢) انظر : أحمد الشرباصي : رشيد رضا الأديب الكاتب الإسلامي ص ١٦٨ ـ ١٧٠ .

حجة على أن المنار أنشيء لجمع المال وإنما يعد مساعدة على خطة دينية قديمة في خدمة الإسلام ونشر العلم لا على دعاية سياسية حادثة لأجل الملك[1].

والحق ، أن رشيد رضا كان صادقاً في دفاعه ورد تهم أعدائه ، وقد أثبتت الأيام صدق ذلك كله. ومن يطلع على بعض رسائله إلى صديقه « شكيب أرسلان » يدرك أن الرجل كان في ضائقة مالية عسيرة زادها أنه كان مبسوط اليد معتاداً من صغره على الإنفاق وإكرام الضيوف. وما زال رشيد في هذا الضنك المالي إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمتــه ، فوجـد أن عليه من الـديون ما يزيد على ألفي جنيه ، كما أن بيته كان مرهوناً ، وفي هذا يقول شكيب أرسـلان : « فتـأملوا يا أولي الألباب في مآل هذا الرجل الذي خدم الإسلام تلك الخدمة الجلى التي قلما وفق إليها أحد في العالم الإسلامي وتأملوا في بهتان أولئك الذين كانوا يتقوّلون عليه أنواع الأقاويل. ويتهمونه بالطمع في المال ، وبقبض الأمـوال الطائلة من ابن سعود وغيره . وهذا في الغالب عند أبناء هذه الأمة جزاء العاملين[2] .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٨ ص ٤ ـ ٨ و ص ٤٦٥ ـ ٤٧٣ .

(٢) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٦٣٢ و ٦٣٣ .

وعلى كل فقد استمرت العلاقة الطيبة القوية بين رشيد وآل سعـود حتى وفاة رشيد والتي كانت بعد ساعات من وداعه الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود في السويس بعد انتهاء زيارته لمصر عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م[1] .

ولقد كانت آخر الرسائل في تاريخ العلاقة بين رشيد رضا والملك عبدالعزيز برقية التعزية التي بعث بها الملك إلى أسرة رشيد والتي قال فيها : « أسأله تعالى أن يحسن عزاءنا وعزاءكم بفقيد الإسلام والمسلمين. وأن يعوضه عنا بجناته ورضوانه وأن يعوضنا الله في من يقوم مقامه في خدمة هذا الدين والدعوة إليه »[2] .

(د) رشيد رضا والاستعمار الأوروبي :

عاش رشيد رضا في عصر ران فيه الضعف والجمود على المسلمـين ودولتهم العثمانية. فأخـذت دول الاستعـمار تتكـالب عليها من كل جانب تنهش في أملاكها فتزيدها ضعفاً حتى إذا ما هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى تقاسمت دول الاستعمار أملاكها في البلاد العربية .

(١) انظر تفصيل وفاة رشيد رضا في مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ١٥٣ ـ ١٦١، (٢٢ أغسطس عام ١٩٣٥م) وانظـر ذلك في آخر هذا الكتاب.

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ص ١٨٨ .

وعـاصر رشيد رضـا جميع هذه المصاب وشاهدها بأم عينيه فكان لابد له وهو العالم المسلم المصلح أن يكون له مواقف مذكورة مع المستعمرين.

وحينما أسس رشيد رضا مجلة المنار بمصر جعل من أهم أغراضها الدفاع عن عقيدة الإسلام وبلاد المسلمين من كيد أعدائهم على اختلافهم. ولهذا نراه يهاجم الإنجليز بشـدة الـذين يسـاعدون المبشرين النصارى في خطتهم الرامية لتنصير المسلمين[1].

وواصل رشيد رضا جهاده في هذا المجال ـ دون توقف ـ فأخـذ يفضح مخططات المبشرين، ومطالب الأقباط في مصر[2]. وجمـع رشيد مقـالاتـه في كتـاب خاص أسـماه « المسلمون والقبط » وبالمقابل تعرض رشيد لهجمات عنيفة من جانب النصـارى الأقبـاط وغـيرهم، وكـان من أبرز صحفهم ومجلاتهم التي هاجمت رشيد بقوة « مجلة الشرق اليسوعية »[3].

(١) مجلة المنار ـ مجلد ٣٣ ص ٢٣٤.

(٢) رشيد رضا: المسلمون والقبط والمؤتمر المصري ص ٢٤ وما بعدها ط ١٣٢٩هـ.

(٣) انظر: مجلة الشرق اليسوعية ـ مجلد ٢٧ (١٩٢٩م) ص ٣١٥.

وحينما يأس رشيد رضـا من الدولة العثمانية بعد تولي الاتحاديين للحكم وظهور مساوئهم فيه ، أخذ يعمل رشيد رضـا ضدهم، فرأى أن يثير عليهم الإنجليز، ويسعى عنـدهم لمصلحـة العـرب، وظن أنه يستطيع أن يؤلبهم لمصلحـة قومـه ، ولكنـه غير رأيه حين رأى أن الإنجليز يعملون لهدم العثـمانيين ولهـدم العـرب جميعـاً، وفهم الإنجليز هذا التغـير من رشيد فغضبوا منه وقبضوا عليه وفكروا في نفيه إلى « مالطة » في جملة من نفوهم، ولكنهم عدلوا عن ذلك لأنهم رأوا أن ذلك يضر بهم أكثر من أن ينفعهم، فبقـاؤه في مصر تحت مراقبتهم أسلم لهم ولهذا تركـوه تحت المراقبة الشديدة فأصبح بذلك عدواً للأتراك الاتحاديين والإنـجليز معاً[1] .

والذي يظهر لنا أن هذا التغيّر ضد الإنجليز من رشيد بدأ في أواخـر الحـرب العالمية الأولى حينما ظهرت أطماع الإنجليز وخـداعهم للعـرب وخاصة بعد ظهور معاهدة « سايكس بيكـو» المشهـورة بعد قيام الثورة الشيوعية في

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ١٥٥ ، وسامي الدهان : مرجع سابق ص ٣٥٦ و ٣٥٧ .

روسيا في أكتوبر سنة ١٩١٧م. ولهذا ساءت حينذاك العلاقة بين رشيد والشريف حسين بسبب اكتشاف رشيد أسرار ثورة عام ١٩١٦م[1].

وأخذ بعد ذلك يفضح أساليب الاستعمار الإنجليزي وأعوانه وأذنابه بصراحة تامة، فهو يصف بريطانيا بأنها عدوة الخلافة الإسلامية وعدوة العرب معاً.

كما ذكر رشيد أنه بعث برسالة إلى «لويد جورج» رئيس وزراء بريطانيا في منتصف عام ١٩١٩م ليشرح له موقف العرب والمسلمين من ثورة شريف مكة وذكر أنه لا يرضي العرب والمسلمين إلا تركهم مستقلين في بلادهم من عرب وترك وفرس. وترك مسألة الخلافة إلى حين عقد مؤتمر إسلامي لحل مشكلتها. ولكن رشيد يذكر أن «لويد جورج» لم يلتفت إلى ذلك وسار في سياسة دولته القائمة على استعمار البلاد العربية والإسلامية فأثبت بذلك أن انجلترا لا يفيد معها ولا تلين إلا بالقوة فقط[2].

---

(١) عبدالرحيم عاصم : السيد محمد رشيد رضا . مجلة المنار ـ مجلد ٣٥ ، ص ٤٨٠ و ٤٨١ .

(٢) رشيد رضا : الخلافة أو الإمامة العظمى ص ٧١ و ص ١١٣ ـ ١١٧ .

وظل رشيد حتى وفاته في عدائه للإنجليز، كما ظل تحت مراقبتهم الشديدة حتى أن صديقه « شكيب أرسلان » حينما مر بالسويس قاصداً الحجاز سنة ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م ، أي قبل وفاة رشيد رضا بسنة واحدة ـ منعت انجلترا الصديقين من الاجتماع أو حتى التحدث فيما بينهما[1] .

ولم يكن جهاد رشيد ضد الاستعمار الإيطالي والفرنسي بأقل من جهاده ضد الاستعمار الإنجليزي . فعندما هاجمت إيطاليا طرابلس الغرب في ليبيا واحتلتها عام ١٩١٢م كتب رشيد مقالاً هاجم فيه إيطاليا وتعسفها ولام العثمانيين الاتحاديين على التساهل والتمكين لإيطاليا بسهولة[2]. وعندما زار ملك إيطاليا مصر احتفلت به الحكومة المصرية المستعمرة، كما احتفل به الأزهر فهاجم رشيد بشدة هذه الاحتفالات لملك إيطاليا التي تقام، وجيشه يضطهد المسلمين في طرابلس وبرقة بليبيا[3] .

وكان لرشيد رضا مواقف مشهورة ضد الاستعمار

---

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ١٦٤ و ١٦٥ .

(٢) إبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٣٧ .

(٣) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ١٤ .

الفرنسي أيضاً لا تقل عن هجومه على الاستعمار الإنجليزي، فقد هاجم رشيد بشدة فرنسا وسياستها في المغرب الإسلامي من أفريقيا الرامية إلى تنصير المسلمين هناك، ونقد الأزهر في عدم إصداره احتجاج على فرنسا بهذا المعنى[1].

وحينما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عزم رشيد رضا على زيارة « الشام » وطنه الأول سنة ١٩١٩م. وفي هذه الأثناء عاد الأمير فيصل بن الحسين من فرنسا بعد فشله في مفاوضاته معها بشأن مستقبل « الشام ». وفي ذلك الوقت كان المؤتمر السوري، « مجلس الشعب » قد انعقد وانتخب رشيد رضا رئيساً له. فأعلن المؤتمر استقلال سوريا وجعل الأمير فيصل ملكاً عليها، وقد أشار رشيد رضا على « فيصل بن الحسين » في ذلك الوقت بالاستعداد للحرب، لأن فرنسا سوف تلجأ إلى الغدر والقوة، ولكن فيصلاً أهمل العمل بنصائح رشيد. وحدث ما كان قد توقعه رشيد، إذ زحف الفرنسيون من منطقة ساحل الشام إلى « دمشق » فتمكنوا من احتلالها في ٢٣ يوليو عام

---

(١) رشيد رضا: المرجع السابق ص ١٤.

١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) فأراد رشيد بعد ذلك العودة إلى مصر[1]. ولكن سلطات الاستعمار الإنجليزي لم توافق على عودته. ولم يعد رشيد إلى أسرته في مصر إلا بعد أن حصل على جواز آخر أجازته السلطات الإنجليزية دون أن تدقق في معرفة صاحبه لعدم وجود تعريف لرشيد فيه بأنه « صاحب المنار» و « رئيس المؤتمر السوري ». كما ذكر رشيد ذلك نفسه[2].

ومع ذلك كله استمر رشيد في حربه للاستعمار الأوروبي حتى إنه سافر سنة ١٩٢١م (١٣٤٠هـ) كأحد أعضاء المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عقد في جنيف للاحتجاج على احتلال فرنسا لسوريا واحتلال انجلترا لفلسطين كما سبق .

(هـ) رشيد والصهيونية :

بدأ هذا الخطر يلوح في الأفق منذ عهد السلطان

---

(١) إبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٥٢ . ومجلة المنار ٢٢ ص ٧٩٧ .

(٢) أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ٦٥ و ٧٨ و ٧٩ .

عبدالحميد الثاني حينما أراد منه زعماء الصهاينة بيعهم فلسطين لإقامة دولة يهودية عليها مقابل أموال ضخمة تسدد بها ديون الدولة العثمانية الكثيرة حينذاك، ولكن السلطان عبدالحميد - رحمه الله - رفض ذلك بشدة، مما جعل اليهود الصهاينة يسعون في تأسيس «جمعية الاتحاد والترقي» الماسونية لإسقاطه[1].

وحينما تمكن الاتحاديون من إسقاط السلطان عبدالحميد سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) رأى اليهود الصهاينة أنهم قضوا على أكبر عقبة في طريق أطماعهم في فلسطين. وصار لليهود سلطة كبيرة في جمعية الاتحاد والترقي[2]. وحذر رشيد رضا العثمانيين من مغبة تساهلهم مع اليهود وأن في ذلك خطراً على البلاد العربية والإسلامية معاً[3].

---

(١) انظر : سعيد الأفغاني : سبب خلع السلطان عبدالحميد. مجلة العربي العدد ١٦٩ - ديسمبر ١٩٧٢ ص ١٥٠ ومجلة المجتمع الكويتية: دور اليهود والماسونيين في الانقلاب على السلطان عبدالحميد - العدد ٤٢٨ و ٤٢٩ - صفر ١٣٩٩ هـ.

(٢) مجلة المنار - مجلد ١٦ ص ١٤٥ ومجلد ١٤ ص ١٧٩ .

(٣) إبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٥٩ ومجلة المنار مجلد ١٧ ص ٣١٩ و ٣٢٠ .

ولم تلبث الأحداث أن حققت ما توقعه رشيد، فبعد أن كشفت انجلترا عن نواياها السيئة تجاه البلاد العربية في نهاية الحرب العالمية الأولى أصدرت أيضاً تعهداً من حكوماتها لليهود الصهاينة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وعرف ذلك «بوعد بلفور» وزير الخارجية الإنجليزي حينذاك الذي أعلن الوعد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م (١٣٣٦هـ)[١] - وعند ذلك جهر رشيد رضا بالدعوة للاستعداد لصد هذا العدو الجديد، وأخذ يدرس الصهيونية ويتعقب نشاطها في كل مكان، بل نادى بأن مشكلة فلسطين هي أخطر المشكلات التي تواجه العالمين العربي والإسلامي وأنه يتضاءل أمامها سائر دسائس الاستعمار وأطماعه. كما تحدث عن اتصال اليهود بالسلطان عبدالحميد لهذه الغاية وفشلهم. ثم كرروا محاولتهم مع الاتحاديين ونجحوا[٢].

ولم يكتف رشيد رضا بذلك بل إنه عمد إلى الاتصال

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي ص ٧٥٩ ط. السابعة ١٩٧٧م.

(٢) إبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وشكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٥٣٧ و ٥٣٨ .

شخصياً ببعض زعماء الصهيونية فاجتمع بمعتمد الجمعية الصهيونية بمصر وذاكر زعيم الصهيونية الكبير « الدكتور وايزمن » فاستشف أخبارهم، وعرف مدى أطماعهم في الإسراع بإقامة وطنهم القومي بفلسطين، وذكر رشيد أنه أبلغهم عزم زعماء العرب على مقاومة أطماعهم في فلسطين بكل ما أوتوا من قوة، وذلك عن طريق تأليف العصابات المسلحة من البدو وغيرهم لمقاومة هذا الاعتداء على بلادهم بكل ما يمكن من وسائل المقاومة المعهودة[1].

ثم يحدد رشيد رأيه الأخير في معالجة مشكلة فلسطين بقوله: « يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين:

* إما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن، وهو ممكن قريب إذا دخلوا عليه من بابه وطلبوه من أسبابه.
* وإما جمع قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة، وأولها تأليف بعض الجمعيات والشركات، وآخرها تأليف العصابات المسلحة التي تقاومهم

(١) إبراهيم العدوي ـ المرجع السابق ـ ص ٢٦٠ و ٢٦١ وتوفيق الطويل: الفكر العربي في مائة سنة ص ٣١٦ ط ١٩٦٦ م.

بالقوة ، وهو ما تحدث به بعضهم على أن يكون أول ما يعمل وإنما هو الكي، والكي آخر العلاج كما يقال »[1] .

ويفسر رشيد رضا مقصوده في الأمر الأول وهو « الاتفاق » في محاضرة ألقاها في ذكرى موقعة حطين عام ١٣٥١هـ، فيقول: « إن الإسلام يسمح لنا أن نتفق مع اليهود الوطنيين المستعمرين الذين يعيشون معنا على قاعدة شرعنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا ولكنه لا يسمح لنا بأن نتفق مع الصهيونيين الأعاجم الذين يريدون سلب وطننا منا، وجعله وطناً عبرانياً لهم، فنحن خصوم لهؤلاء دون سائر اليهود »[2] وفي هذا رد على من زعم أن رشيد رضا يرى التعاطف مع الصهاينة والاتفاق معهم[3] .

وتوفي رشيد رضا عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م أي قبل ١٣ سنة من قيام دولة إسرائيل في فلسطين .

---

(١) مجلة المنار ـ مجلد ١٧ ص ٣٢٠ .

(٢) رشيد رضا : محاضرة في ذكرى موقعة حطين ص ٥١ ـ نشر محب الدين الخطيب ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة ١٣٥١هـ.

(٣) David Hirst, The Gun and the Olive branch PP. 32,33 London 1978 .

وقد يعجب الباحث حين يرى أن رشيداً يحذر من أن فلسطين لا تكفي وحدها لليهود لتأسيس وطنهم القومي بل هم طامعون فيما حولها من بلاد لتأسيس حلمهم الأكبر « ملك سليمان »[1]. ولقد وقع اليوم ما توقعه رشيد رضا ـ رحمه الله ـ والمسلمون اليوم في حيرة لأنهم لم يعتبروا .

---

(١) رشيد رضا : ذكرى موقعة حطين ص ٤٨ ـ ٤٩ .

ثالثاً : أثر المنار الإصلاحي في العالم الإسلامي

لقد استطاع رشيد رضا أن يكون مدرسة إسلامية تدين لجهوده وأعماله بالفضل والعرفان، وشاء الله تعالى ألا يقتصر وجود هذه المدرسة في مصر فحسب بل شمل معظم الأقطار الإسلامية واستمر وجودها حتى وقتنا الحاضر. ويمكن أن نطلق على هذه المدرسة « مدرسة المنار » .

وبالرغم من وجود عوائق كثيرة تمثلت في أعداء رشيد رضا الكثر فقد قيض الله لمدرسة المنار عوامل مهمة دفعت بها إلى سماء الانتشار في أقطار مختلفة ومتفرقة من العالم الإسلامي . ولم يمت رشيد رضا إلا وقد وصل تأثير مدرسته إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي حينذاك ، وكان ذلك بتأثير ثلاثة عوامل مهمة :

١ ـ مجلة المنار : وكانت هي الوعاء الرئيس التي حملت أفكار ومبادىء رشيد رضا الإصلاحية إلى الناس .

٢ ـ مدرسة الدعوة والإرشاد : فقد كان طلابها من مختلف الأقطار الإسلامية الحاملين لأفكارها

والنـاشرين لها بين مواطنيهم، فطارت بذلك دعوة المنار ومدرستها إلى الكثير من أقطار العالم الإسلامي[1].

٣ ـ شخصية رشيد رضا وجهودها : فهو رجل قد عاش عصره وأثـر فيه واتصـل بأغلب أعـلامه وأحداثه، وكتب في أغلب ألـوان الكتابة وترك من خلفه تراثاً فكرياً ضخماً سيظل موضع النظر والتقدير من كل منصف إلى مدى بعيد[2].

وكان رشيد رضا يستغل كل فرصة للدعوة إلى الله بما توحيه إليه أفكـاره ومبادئه الإصلاحية ولا يخاف في ذلك لومـة لائم، فنـراه مثـلاً يخطب في أحـد مساجد القاهرة الخاصة بالصوفية ويتطرق إلى بدعهم وخرافاتهم، ويبين بُعدها عن الإسلام ، بل إنه في أثناء رحلته إلى الهند زار أحد معابد الهندوس الوثنيين فأخذ يبين لأصحابها أنها جماد

(١) توفيق الطويل : الفكر الإسلامي في العالم العربي إبان المائة عام الأخيرة ضمن كتاب الفكر العربي في مائة سنة ص ٢٧٤ ط ١٩٦٦م.

(٢) محمـد كمال جمعـة : انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية ص ٢٠٧ ط ١٣٩٧هـ.
وشكيب أرسلان : مرجع سابق ص ١٥٠ و ٢٦٦ و ٢٦٧ .

لا تنفع ولا تضر، فيجب اتجاههم إلى الله فحسب[1].

وينبغي ألا ننسى أثر العصر الذي عاش فيه رشيد في دفع أفكاره ومبادىء مدرسته نحو الانتشار، فقد عاش رشيد في وقت تكالب فيه الضعف والاستبداد العثماني مع مطامع الاستعمار الأوروبي المتحالف مع الصهونية. فكان الناس متلهفين ـ بحق ـ إلى قيام دعوة إصلاحية.

كان صدور مجلة المنار عام ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) هي البداية الأولى لظهور «مدرسة المنار» في محيط الفكر الإسلامي. فصار لها منذ السنة الأولى لعمرها مشتركون وقراء في مصر والهند وسومطرة وغيرها كما ذكر رشيد نفسه[2].

وعن طريق مجلة المنار سرت كتابات رشيد ومؤلفاته وآراؤه وأفكاره في أنحاء العالم الإسلامي، وبين طلاب العلم على اختلاف ثقافتهم، ومنهم من كان مسافراً لبلاد أوروبا للدراسة[3].

---

(١) عبدالله أمين : السيد محمد رشيد رضا وعباس محمود العقاد ـ مجلة المقتطف مجلد ١٥ (١٩٤٩م) ص ١٨٩ .

(٢) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٣١٣ .

(٣) عبدالله أمين : المرجع السابق ـ مجلة المقتطف مجلد ١١٥ (١٩٤٩م) =

ومن آثار مدرسة المنار ما يذكره بعض الباحثين أن رشيد رضا قد عالج باجتهاداته كثيراً من المشكلات الفقهية مثل تعدد الزوجات ومسائل العدة والطلاق ونحوها مما أخذت به قوانين الأحوال الشخصية في أكثر البلاد العربية في عصرنا الحاضر وخاصة في مصر، واستفاد من ذلك واضعوا هذه القوانين وعلى رأسهم « عبدالرزاق السنهوري »[1] .

كما كان لمدرسة المنار دور كبير في أمرين مهمين هما : « محاربة البدع ـ ومحاربة التقليد » وهما أكبر وأبرز الآثار التي تركتها المنار في أرجاء العالم الإسلامي . وهما الواجهة السلفية الحقيقية لهذه المدرسة .

يقول الشيخ حسن البنا في افتتاحية العدد الأول لمجلته

= ص ١٨٩ و ١٩٠ .

ومحمود فوزي محمود إسماعيل : محب الدين الخطيب ـ آثاره ودوره في خدمة الدعوة الإسلامية ، ص ٢٨١ ـ جامعة الأزهر ، رسالة دكتوراه ، ١٣٩٨هـ.

(١) وهبة الزحيلي : الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ص ١٠ و ١١ (من بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض) عام ١٣٩٦هـ ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وانظر : M. Kerr, Op, cit, PP. 218 , 219.

« الشهاب » عن مجلة المنار: « أسست مدرسة فكرية تقوم على قواعـد هذا الإصـلاح الإسلامي الجليل، لا زالت آثارها باقية في نفوس النخبة المستنيرة من رجال الإسلام إلى الآن »[1] .

ويتحدث المستشرق (هـ . أ . جب) ورفاقه في كتابهم « وجهة الإسلام » عن عوامل التجديد في العالم الإسلامي في العصر الحديث فيذكر فيها « تأثير مجلة المنار » التي ذكر أن لها تأثـيراً كبـيراً في فتـح البـاب للتوفيق بين الإسلام وحاجات العصر الحديث[2].

ولقـد اعـترف أعداء رشيد قبل أصدقائه في الانتشار الكبير الذي بلغته « مدرسة المنار » وذلك أمثال الدكتور طه حسين وغيره[3] .

ولهذا فمن الخطأ الواضح ما ذكره « هنري لاوست »

---

(١) حسن البنا : افتتاحية العدد الأول من مجلة (الشهاب) ص ٩ , المحرم ١٣٦٧هـ نوفمبر ١٩٤٧م .

(٢) جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ١٦٧ و ١٧٣ و ١٧٤ ـ ترجمة محمد أبو ريدة .

(٣) أحمد الشرباصي : رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي ص ١٦ .

من أن مدرسة محمد عبده ورشيد رضا تبعا لابن تيمية لم يبق لهما سوى أهمية تاريخية كدليل على التمسك بالتراث الوطني والثقافي[1] . والواقع أن من تتبع الحركة السلفية في العالم الإسلامي اليوم يعرف أن تأثير مدرسة رشيد رضا لا زال حياً، ولم يذهب هذا الأثر حتى الآن .

وكانت ترد إلى رشيد رضا رسائل مختلفة من الشرق والغرب تتضمن استفساراً أو سؤالاً عن نواحي مختلفة وأكثرها تتصل بمحاربة البدع والخرافات والدعوة إلى التوحيد والسلفية، وبعضها يتصل بقضايا إسلامية أخرى دينية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية[2] .

والواقع أن الباحث في مقدار انتشار « مدرسة المنار » في العالم الإسلامي يمكن له بمتابعة أسماء البلدان التي جاءت منها تلك الأسئلة ـ أن يستخلص ويعرف منها ما حظيت به « مجلة المنار ومدرستها » من انتشار واسع ليس

---

(١) H. Laoust , Op, cit, P. 574 .

(٢) جمعت هذه الأسئلة وأجوبتها في ستة مجلدات بعنوان (فتاوى الإمام محمد رشيد رضا) : جمع وتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ويوسف ق . خوري طبع دار الكتاب الجديد . بيروت ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م .

في العالم الإسلامي فحسب ، بل في قارات العالم المختلفة في آسيا وأفريقيا وأوروبا والأمريكتين[1] .

ولعـل من المناسب هنا ، أن نلقي بعض الضوء على الأثر الذي تركته « مدرسة المنار » في أهم تلك البلدان وهي :

(أ) **في مصـــر** :

لما كانت مصر هي المنبع الأول لظهور « مدرسة المنار » ـ ممثلة بمجلتها ـ فمن باب أولى أن تكون البلاد المصرية أول من يتأثر بأفكار ومبادىء تلك المدرسة .

وقـد ذكـر رشيد بأنه وجد في القطر المصري أصدقاء كثيرين للمنار ، لا يخافون في الله لومة لائم، فيصرحون دائماً بالدفاع عن المنار، ويدعون إخوانهم وتلاميذهم إلى قراءته ، ومطالعة تفسيره[2]، وكان من هؤلاء بعض كبار علماء الأزهر أمثال « محمد مصطفى المراغي » الذي تولى مشيخـة الأزهر عام ١٣٥٤هـ بعد الشيخ « الظواهري »

---

(١) انظر : المرجع السابق جـ ٦ ص ٣٧٤٥ ـ ٢٧٥٩ .

(٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٥٦ .

وكــذلــك الشيخ « محمــد سرور الـزنكلوني » والشيخ « عبـدالمجيد سليم » الـذي تولى منصب الإفتـاء للديار المصرية في أواخر حياة رشيد، وكذلك الشيخ « محمد أحمد العدوي » وغيرهم.

وقـد سبق لنـا تفصيل جهـود رشيد رضـا في إصلاح الأزهر، ونجاحه في بعض تلك الجهود .

وقـد أفـرد تشـارلز آدمز أحد فصول كتابه « الإسلام والتجـديد في مصر » للحـديث عن ما يسميهم « حزب المنـار » ويقصد بهم تلاميذ الشيخ محمد عبده وأنصاره، وكـان منهم أزهـريون، وأدبـاء، وأصحـاب مناصب في الدولة، وغيرهم[1].

كما قامت مجلات إسلامية إلى جوار « مجلة المنار » وفي ظلها متأثرة بها وتابعة منهجها في حراسة الإسلام والدفاع عن قضـايا المسلمـين . وكـان من أبـرزها « مجلة الفتح الإسلامية » التي أنشأها الشيخ « محب الدين الخطيب »

---

(١) تشارلز آدمز : المرجع السابق ص ١٩٦ ـ ٢٤٠ .

سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)[1] وكانت أسبوعية، و« مجلة الزهراء » وكانت شهرية .

كما قامت في مصر بعض الجمعيات الإسلامية المتجهة اتجاهاً سلفياً إصلاحياً وذلك مثل « جمعية أنصار السنة المحمدية » التي أنشأها الشيخ « محمد حامد الفقي »[2] وهو من تلاميذ رشيد رضا. ولها مجلة شهرية باسم « التوحيد » . و« الجمعية الشرعية » التي أسسها الشيخ « أمين الخطيب » وللجمعية مجلة باسم « الاعتصام » .

أما جمعية الأخوان المسلمين فقد أسسها الشيخ « حسن البنا » سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) وتقوم على الدعوة إلى العودة نحو الإسلام في ينابيعه الصافية على هدي السلف الصالح . وكان الشيخ حسن البنا ذا صلة وثيقة بالشيخ رشيد رضا منذ شبابه المبكر[3] . مما أفسح المجال أمام

---

(١) محمود فوزي محمود إسماعيل : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

(٢) كمال السيد درويش : محمد بن عبدالوهاب والدعوة الوهابية ـ رسالة ماجستير ـ جامعة الإسكندرية ـ كلية الآداب ١٩٥٨م ص ٢٦٣ .

(٣) ريتشارد ب . ميتشل : الأخوان المسلمون . ترجمة عبدالسلام رضوان ص ٢٧ .

« حسن البنـا » أن يستقي من « مدرسة المنار » كثيراً من مبادئها وأفكارها ويتأثر بها دينياً وسياسياً .

ولهـذا يذكـر « مالكوم كير » : Keer « أن رشيداً يتعرض في أحاديثه إلى مبادىء بعض الحركات الإسلامية مثل حركة الوهابيين وحركة الأخوان المسلمين بمصر »(١) .

(ب) في المملكة العربية السعودية :

الـواقـع أن تأثـير « مدرسة المنار » في البلاد السعودية يختلف عن سائر البلاد الإسلامية . فالمملكة السعودية هي موطن ومنبع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية . وهي الحـامية لها والمـطبقـة لمبادئها والتي أقام رشيد رضا مبـادىء مدرستـه على أسـاسهـا ـ لذلـك فإن في البـلاد السعودية من التطبيق العملي لمبادىء دعوة الشيخ محمد بن عبـدالوهاب السلفية ما يغنيها عن تأثير « مدرسة المنار » فيهـا وإن بقيت تلك البـلاد عضداً مهماً لمدرسة المنار في أهدافها وآمالها .

وليس معنى ذلـك أن ننفي أي أثـر للمنار في البلاد

---

(١) Kerr , Op. cit, PP. 153, 154 .

السعودية، فقد كان للمنار دور كبير في نشر كثير من كتب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتب علماء السلفيين والحنابلة .

كما أن هناك مراسلات قامت بين رشيد رضا وبعض علماء نجد، وتدور كثير من هذه الرسائل حول أمور تختص بالدعوة السلفية وبعضها في نواح إسلامية أخرى، وكان رشيد رضا مشهوراً عند علماء نجد ومحبوباً عندهم لأنه سلفي يناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية . يقول الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : « كان رشيد رضا ـ رحمه الله ـ سلفياً ظاهراً وباطناً لا تشوب سلفيته شائبة فلسفية أوأشعرية على طريقة علماء السلف الصالح[1] » .

وبين يدي الآن رسالة من رشيد رضا بخط يده ـ إلى الشيخ « صالح بن عثمان القاضي »[2] أحد علماء نجد

(١) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ : مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ٤٩٠ .

(٢) هو الشيخ صالح بن عثمان بن حمد القاضي، ولد في مدينة عنيزة بالقصيم سنة ١٢٨٢هـ، ودرس على علمائها ثم سافر إلى القاهرة سنة =

المشهورين، وقاضي مدينة عنيزة حينذاك وقد أرسلها رشيد من مكـة المكرمة وكان قد جاء إليها رشيد حاجاً لحضور المؤتمر الإسلامي العام الذي دعا لعقده الملك عبدالعزيز عام ١٣٤٤هـ .

وهذه صورتها في الصفحة التالية :

وقـد سبق لنـا رسـالـة الشيخ عبـدالـرحمن بن ناصر السعدي إلى رشيد رضا وجواب رشيد عليها في مجلة المنار[1] وهي تمثـل إحـدى رسـائل علماء نجد إلى رشيد رضا في مواضيعها الدينية المختلفة .

= ١٣٠٦هـ لإكـمال دراستـه في الجـامـع الأزهر . فنزل برواق المغاربة واشتغل بطلب العلم هناك، وفي سنة ١٣٠٨هـ عاد من القاهرة إلى مكة فجـاور بها زمناً، ثم عاد إلى عنيزة وتولى فيها القضاء عام ١٣٢٤هـ وأظهر فيه الحنكة والفراسة واستمر قاضياً حتى وفاته عام ١٣٥١هـ، ومن تلاميذه الشيخ (عبـدالرحمن بن ناصر السعدي) العالم المشهور. انظر محمد القاضي، روضة الناظرين جـ ١ ص ١٥٢ ـ ١٦٥ .
وانـظر: عبـدالـرحمن آل الشيخ : مرجـع سابق ص ٣٣١ ـ ٣٣٤، وعبدالله بن عبدالرحمن البسام : علماء نجد خلال ستة قرون جـ٣، ص ٣٦٧ ـ ٣٧٤.

(١) مجلة المنار ، مجلد ٢٩ ص ١٤٣ ـ ١٤٧، وانظر ص ٢٥ ، ٢٦ من هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

AL-MANAR LIBRARY

CAIRO - EGYPT

(مجلة)

ومكتبة المنار

- بمصر -

مصر القاهرة في ٢١ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٤٤

من محمد رشيد رضا الى الاخ الذي حببناه في الله بالغيب الشيخ ... عليكم ...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته . أما بعد فاني أودكم وأحبكم في الله ... بالدين

والسعي في اصلاح حال المسلمين في دينهم ودنياهم بالعلم والعمل ، ومن العلم الذي

قصر فيه أهل نجد فنون اللغة العربية وآدابها من شعر ونثر فان الفهم الاستقلالي

للكتاب والسنة وآثار الصحابة رضوان الله عليهم لا يتم الا بذلك والاعتماد على

كتب التفسير وشروح الأحاديث ضرب من التقليد وكم لأصحاب تلك الكتب من اغلاط

سببها اشتباه الألفاظ الاصطلاحية من شرعية وفنية بالعربي الصحيح

هذا واننا كتبنا هذه الكلمات للتعارف في الله و... ان نتصل

المكاتبة بيننا والدعاء وصيتكم ...

... محمد رشيد رضا

ولقد استمرت صلة رشيد رضا وثيقة بالعلماء السعوديين في نجد والحجاز حتى وفاته عام ١٣٥٤هـ.

(جـ) في بلاد الشام :

رغم أن بلاد الشام هي موطن رشيد رضا الأصلي إلا أن أثر المنار فيها يأتي متخلفاً عن مصر، وذلك لأن رشيد عاش أهم فترة جهاده الإصلاحي في مصر. ومع ذلك وجد في بلاد الشام مجموعة من العلماء المسلمين الذين تأثروا بمدرسة المنار كثيراً، وكان لهم نشاط كبير في نشر الدعوة السلفية هناك. ومن أبرز هؤلاء العلماء الشيخ « محمد بهجت البيطار » وهو من تلاميذ رشيد رضا المشهورين، والشيخ « ناصر الألباني » وله دراية برواية الأحاديث النبوية وأسانيدها. وكذلك الأستاذ « مصطفى السباعي » رئيس جماعة الأخوان المسلمين في سوريا[1]. ويمكن أن نعد الأمير « شكيب أرسلان »[2] من هؤلاء العلماء الذين تأثروا

(١) عبدالله بن خميس : شهر في دمشق ص ٧٤ ـ ٨٠ ـ مطابع الرياض عام ١٣٧٥هـ.

(٢) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٥١٧ : وشكيب أرسلان ولد عام ١٨٦٩م في لبنان ودرس في مدارسها وأقام في دمشق ومصر مدة ثم انتقل إلى (جنيف) بسويسرا وأقام فيها نحو ٢٥ سنة، ثم عاد إلى بيروت عام =

برشيد رضا. وكان صديقاً حميماً لرشيد، وهو الذي رثى رشيداً بقصيدة قال فيها :

سر نحو ربك مبكياً بكل دم
قان على صفحة الخدين مصبوب
وانعم لديه بما قدمت من عمل
وفز بقسطك من بر وتثويب
واترك ثناء كنفح الطيب ليس يني
يملأ البلاد بتشريق وتغريب
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم
لكن حزنك عندي غير مغلوب[1]

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس في كتابه « شهر في دمشق » أن في طرابلس الشام جماعة من تلامذة الشيخ

= ١٩٤٦م وتوفي في نفس السنة، وهو مفكر مسلم وأديب سياسي مؤرخ، وكان من المتحمسين لنصرة الدولة العثمانية، له عدة مؤلفات ومقالات في مجلات عربية وأجنبية.
انظر : الزركلي : الأعلام جـ ٣ ص ٢٥١ .

(١) المرجع السابق ص ٢٨١ ـ ٢٨٤ .

محمد رشيد رضا وأقاربه يقومون بالدعوة إلى السلفية خير قيام[1] .

(د) في أندونيسيا :

تعتبر أندونيسيا من البلاد التي انتشرت فيها مجلة المنار منذ سنتها الأولى وذلك بوجود مشتركين وقراء[2] لها صار لهم اتصال وثيق بالمجلة عن طريق عدد من الأسئلة التي بعثها بعضهم إلى رشيد رضا ـ ونشرها رشيد في المجلة ـ وأكثرها يدور حول مسائل تتصل بمحاربة أنواع البدع والخرافات وكذلك محاربة دسائس التبشير النصراني الهولندي ، فكتب بعض من تأثروا بالمنار في جاوه إلى رشيد رضا يشكون إليه هذا الخطر[3] ، وكان ذلك مما دفع برشيد إلى الإسراع بانشاء مدرسة الدعوة والإرشاد للرد على هذا الخطر وعلاجه قبل أن يستفحل وذلك بتخريج دعاة ومرشدين إلى تلك البلاد

---

(١) عبدالله بن خميس : مرجع سابق ص ٨١ .

(٢) مجلة المنار ـ المجلد الأول ص ٣١٣ .

(٣) مجلة المنار ـ مجلد ١٤ ص ٥٠ و ٥١ وإبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٨٢ و ١٨٣ ، وعبدالله بن سعد الرويشد : الإمام الشيخ محمد ابن عبدالوهاب في التاريخ جـ ١ ص ١٧٩ ط ١٣٩٢هـ، ومحمد كمال جمعة : مرجع سابق ص ٢٠٧ و ٢١١ .

الإسـلامية وأمثـالهـا. وقـامت مدرسـة الـدعوة والإرشاد بالقـاهرة والتحق بها كثير من الطلاب الأندونيسيين، ثم عادوا إلى أوطانهم، فكانوا خير مرشدين لإخوانهم المسلمين نحو السلفية وخير دعاة لغيرهم إلى الإسلام .

وذكر لنا رشيد رضا نفسه أن السيد « محمد بن عقيل » كان قد أسس في جاوة مطبعة ومجلة تصدر بلغة الملايو على مشرب المنـار وتقتبس كثيراً من مقالاتها ومباحثها، ولكن المجلة والمطبعة لم تستمرا لإفلاسهما مالياً[1]، كما قام مجموعة ممن تأثـروا بالمنـار في جاوة بتـأليف جمعيات إسلامية من أموالهم وفتح المدارس لتعليم اللغة العربية وعلوم الدين الإسـلامي ومبـادىء الدعوة السلفية وذلك في عدة مدن وقرى من جاوة، وقد لاقت هذه المدارس نجاحاً كبيراً[2].

أما في الملايو فيذكر تشارلز آدمز أن تعاليم المنار أخذت تنتشر في الملايو بشكل ملحوظ حتى أن تفسير المنار ترجم إلى اللغة الملاوية وطبع في أجزاء خاصة[3].

---

(١) رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ٦٠٠ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ١٢ ص ٨٧٢ و ٨٧٣ ، ومجلة المنار ـ مجلد ٢٢ ص ٦٣٢ و ٦٣٣ .

(٣) تشارلز آدمز : مرجع سابق ص ٩٧ و ٩٨ .

ويذكـر « جـب » ورفـاقـه أن مدرسة المنار ذاعت في الملايو وأحدثت حركة عظيمة في أراضي « بادنج الواطئة » وحركة أقل منها أيضاً في الأراضي المرتفعة[1] .

(هـ) في الهنـد :

لقـد دخلت تعـاليم « مدرسـة المنـار » إلى بلاد الهند الـواسعة عن طريق مجلة المنار التي انتشرت في الهند منذ سنواتها الأولى، وكان لها رواج عظيم هناك وقبول حسن ومشجع ـ حتى أنه في السنة السادسة من سنوات المنار، أرسل ناظر مدرسة العلوم بعليكره في الهند رسالة إلى رشيد رضا يقول فيها : « إن المنار منتشرة في الهند انتشاراً عجيباً وأن مئـات من مقالاتها الحكيمة والإسلامية نقلناها في لغتنا الهنـدية، ونشرنـاهـا في جريدتنـا الأسبـوعية « عليكـرة السينيوت كرت »، ثم تناقلتها الجرائد الإسلامية فقرأها ألوف من قرائنا وقراء سائر الجرائد وحازت رضى العلماء والفضلاء في المدارس والجوامع والمساجد[2] » .

---

(١) جب وآخـرون : وجهة الإسلام ص ١٧٥ و ١٧٦ ط ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤م مترجم .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٦ ص ١٥٩ تاريخ ١٤ مايو ١٩٠٣م (١٣٢١هـ) .

ومما ساعد على رواج المنار في بلاد الهند وجود جمعيات إسلامية هناك وأكثرها سلفية متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

وكان من أشهر الجمعيات السلفية هناك : جمعية « أهل الحديث » وجمعية « ندوة العلماء » بلكهنؤ[1] وهي التي وجهت الدعوة إلى رشيد رضا لزيارة الهند سنة **١٣٣١**هـ. وبجانب ذلك لاقت دعوة رشيد في الهند محاربة من فرق مختلفة خصوصاً من زعماء « القاديانيين » الذين أخذوا يؤلفون الكتب والمنشورات لمحاربة « مجلة المنار » والرد عليها، ويذكر رشيد أن هذه الردود من القاديانيين ضد مدرسة المنار شملت أيضاً نسخ الجهاد في الإسلام والمدح للإنجليز[2] .

ولا ريب أن انتشار المنار في بلاد الهند قد زاد من انتشار أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وإن كان انتشار دعوة الشيخ قبل ذلك قد سهل من انتشار المنار، ولهذا

---

(١) عبدالله محمود شحاته : منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن ص ١٨ و ١٩ . ومجلة المنار ـ مجلد ١٦ ص ٧٧ ـ ٨٠ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٣١ ص ٧٧ ـ ٨٠ .

يذكر « جـب » أن أتباع الوهابيين في الهند زاد حتى بلغ أكثر من عشرة ملايين نسمة في إحصاء عام ١٩٢١م[1] .

ولم يقتصر انتشـار المنـار ودعـوته في البلاد الهندية بل تعداها شمالاً نحو بلاد فارس وروسيا التي يذكر رشيد أنه أخـذ ينتشر بين الوعاظ والمرشدين والمعلمين المسلمين في تلك البلاد[2] .

(و) في شمال أفريقيا :

وتشمل البلاد الواقعة في شمال القارة الأفريقية ما عدا مصر ـ وهي « ليبيا وتونس والجزائر ومراكش » . وكل هذه البلدان استطاعت المنار ودعوتها أن تدخل فيها ، وتنتشر في كثير منها منذ باكورة حياتها وفي سنواتها الأولى ، حتى أنه في السنة الخامسة من عمر المنار ذكر أحد قراء المنار في تونس

---

(١) جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ١١٣ ، وأبو الكلام أحمد : ثورة الهند السياسية . أثر تاريخي ووصف حقيقي ترجمة عبدالرزاق اللكنوي ص ١٩ ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة المنار بمصر عام ١٣٤١هـ .

(٢) مجلة المنار ـ مجلد ٥ ص ٨٨٠ .

: أن العدد الواحد من مجلة المنار يدار على عشرات الناس في تونس[1].

ولعل أكبر دليل على حسن انتشار المنار في بلاد شمال أفريقيا منذ عهد المنار وعمره المبكر أن الشيخ محمد عبده حينما قام بزيارته إلى تونس والجزائر عام ١٣٢١هـ (١٩٠٣م)[2] شاهد هناك الأثر الكبير الذي أحدثته « مدرسة المنار » ممثلة في مجلتها وتأثير ذلك في نشر أفكاره الإصلاحية .

ويذكر المستشرق « هـ. أ . جب » أن في بلاد المغرب الإسلامي في شمال أفريقيا حزب السلفيين وهو شعبة من الحركة التي تمثلها في القاهرة « مجلة المنار » ، ولذلك يحتفظ بصلة وثيقة بالفئة التي تماثله في مصر ويترسم خطاها . وأكبر لسان معبر عن هذا الحزب صحيفة « الشهاب » التي تنشر بالعربية في « قسنطينة » ويديرها عبدالحميد بن باديس[3] .

(١) المصدر السابق ص ٨٨٠ و H. Laoust, Op. cit, PP. 559, 560.
ومحمود فوزي محمود إسماعيل : مرجع سابق ص ٣٨١ .

(٢) إبراهيم العدوي : مرجع سابق ص ١٩٣ ، ورشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده جـ ١ ص ١٠١٧ و ١٠١٨ .

(٣) هـ . أ . جب وآخرون : وجهة الإسلام ص ٦٠ و ٦١ (مترجم) .

الــذي شكــل مع رفــاقــه جمعية اسمهــا « جمعية العلماء الجزائريين » وذلك لنشر أفكار « مدرسة المنار » ودعوتها[1].

ومع وفاة « عبدالحميد بن باديس » عام **١٣٥٩هـ** فقد بقيت لأعماله الإصلاحية آثار خالدة ليس في الجزائر وحدها بل في بلاد المغرب الإسلامي كله[2].

وحينــما توفي رشيد رثــاه كثير من شعراء المغرب ومنهم الشاعر « عبدالرحمن بن زيدان » نقيب الأسرة المالكة في المغرب الأقصى حينذاك الذي رثى رشيداً بقصيدة قال فيها :

إذا ذكــرت ذوو الإصــلاح يومــاً
فإن فقــيدنــا بيت الــقــصــيد
فآه ثم آه ثم آه
على طود تغــيب في الــلحــود[3]

---

(١) هـ . أ . جب : الاتجاهات الحديثة في الإسلام ص ٦٤ (مترجم) ط ١٩٦١م، وتوفيق الطويل ـ مرجع سابق ص ٣١٥ .

(٢) حسن البنا : مرجع سابق . مجلة الشهاب المصرية ـ العدد الأول في المحرم ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م) ص ٩.

(٣) انظر القصيدة كاملة في مجلة المنار مجلد ٣٥ (١٩٣٥م) ص ٢٣٨ و ٢٣٩ .

(ز) في أوروبا :

إن انتشار المنار ومدرسته في أوروبا يبرز في ناحيتين مهمتين :

أولهما : الاهتمام الكبير الذي حظيته شخصية رشيد رضا ومدرسته « المنار » عند الباحثين الأوروبيين، ويذكر « مالكولم كير » : أن رشيد رضا وجد عناية كافية من المستشرقين الأوروبيين أكثر من شيخه محمد عبده وجمال الدين الأفغاني[1]. ويرجع اهتمامهم فيه إلى مكانته في الفكر والإصلاح الإسلامي في العصر الحديث، ولعل أكبر دليل على اهتمام الأوروبيين بمدرسة المنار ومؤسسها الشيخ رشيد رضا. أنه في أول يناير سنة **١٩٣٣**م أرسلت « جمعية العلوم الروحانية والأبحاث النفسية » بمملكة رومانيا العظمى خطاباً إلى رشيد رضا تذكر فيه اختياره عضو شرف فيها[2]. كما أخرج كثير من الباحثين الأوروبيين بحوثاً وكتباً مستقلة عن شخصية رشيد رضا ومدرسته « المنار » ومن هؤلاء « تشارلز آدمز » و « هنري لاوست » و « جومييه » و « مالكولم كير » وغيرهم.

---

(١) Kerr, Op, cit, P. 153 (٢) رشيد رضا : المنار والأزهر ص ٢٠٠ .

وثانيهما : انتشار أفكار المنار ودعوته ومبادئه عند مسلمي أوروبا سواء القاطنين فيها كسكان أصليين، أو المقيمين فيها للدراسة وغيرها والتي كانت مجلة المنار تصل إليهم في غربتهم ويتابعونها باهتمام ومن هؤلاء الأمير « شكيب أرسلان » حينما أقام في جنيف بسويسرا. وكذلك الأستاذ « أحمد زكي شيخ العروبة ١٨٦٧م - ١٩٣٤م » الذي أرسل إلى رشيد من « باريس » أسئلة حول الاجتهاد والتقليد وطلب من رشيد رضا إجابته عنها. ونشرها رشيد على صفحات المنار باسم « الأسئلة الباريسية » ثم جعلها أحد مباحث كتابه « الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية »[1].

كما تعددت جهات الأسئلة التي ترد على المنار من أوروبا بعضها من مسلمي يوغسلافيا وبعضها من مناطق أوروبية أخرى كألمانيا وانجلترا وفرنسا وسويسرا وروسيا وغيرها.

وهناك رسالة تعزية والتي بعث بها الشيخ « سالم

---

(١) رشيد رضا : الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية ص ١١٩ ط ١٣٦٧هـ، ومجلة المنار مجلد ٧ ص ٣٧١ - ٣٨٠. وانظر : ترجمة (لأحمد زكي) في الزركلي : الأعلام جـ١ ص ١٢٢.

مفتيك » رئيس مجلس العلماء المسلمين في « سراي بوسنة » في يوغسلافيا إلى الشيخ « محب الدين الخطيب » ورجاه أن ينشرها على صفحات مجلته « الفتح »، قال فيها : «قرع أسماعنا خبر انتقال صديقنا العلامة السيد رشيد رضا إلى رحمة الله والدار الآخرة، فرأينا من الواجب علينا تعزية عائلته الكريمة وأقربائه وأصدقائه وكان الأولى بنا أن نعزي به أنفسنا وجميع المسلمين في أطراف الأرض، لأن الفقيد رحمه الله كان في هذا العصر علماً من أعلام الإسلام وشمساً من شموس العلم فجزاه الله عن الإسلام خير ما جازى مجاهداً عن جهاده[1]».

وفاة رشيد رضا :

لقد لقي رشيد رضا ربه وهو يجاهد في سبيل تلك الدعوة الإصلاحية بكل ما يملك، فجاهد بفكره وماله وجسمه، وكان يوم وفاته طرفاً من ذلك الجهاد. فقد خرج رحمه الله ـ كما مر ـ إلى « السويس » لوداع الأمير سعود بن عبدالعزيز ـ ولي العهد السعودي حينذاك ـ وأثناء عودته

(١) مجلة الفتح الإسلامية : المجلد العاشر : ١٣٥٤ / ١٩٣٥م ص ٣١٣.

بالسيارة قبـل وصوله القاهرة انتقل إلى رحمة الله في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ (٢٣ أغسطس عام ١٩٣٥م). وكان قد أتعب ذهنه وجسمه ـ كما قال ابن عمه السيد عبدالرحمن عاصم: «أتعب ذهنـه بإجهـاده بالنصـائـح والوصايا لولي العهد السعـودي ـ شأنـه مع كل من يتوسم فيه الخير ـ وأتعب جسمه بركوب السيارة إلى السويس ذهاباً وإياباً، وطريقها ليست سهلة، وسهر أكثر الليل يفكر ويراجع وأبى رحمه الله ورضي عنه أن ينتظر في السويس إلى المساء ليستريح وقـال لمن رجـاه ذلك: لا سأستريح في بيتي». وقد ذكر المرافقون له أنه رحمه الله ذهب في عودته من السويس إلى قراءة القـرآن الكـريم ثم أصابه دوار من ارتجاج السيارة كعادته ثم تقيأ ثم عاد إلى تلاوة القرآن حتى فاءت روحه إلى بارئها ـ وكان مصاباً بضغط الدم.

وقـد ذكـر من رآه في تلك الساعات القاسية أنه كان كالنـائم المسـتريح في نومـه العـادي، يعلو وجهـه نور ووضاءة، ولم يفارقه لونه الطبيعي، ولا ابتسامته اللطيفة إلا قليلاً، ولم يصفـر اصفرار الموت، ولم يشم منه إلا طيباً.

ودفن في « قرافة المجاورين » بجوار قبر الشيخ محمد عبده[1] ـ رحمهما الله .

والواقع أن هذه الأوصاف علامة من علامات الخير وأمارة أخرى من أمارات حسن الختام التي رزقها الله لرشيد أما الأمارة الثانية في ذلك فهي أنه ـ رحمه الله ـ كان آخر ما فسره من القرآن الكريم ـ كما سبق ـ الآية رقم ١٠١ من سورة يوسف وهي قوله تعالى :

﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ .

وكان آخر جملة فسر بها هذه الآية قوله : « فنسأله تعالى أن يجعل لنا خير حظ منه بالموت على الإسلام »[2].

وبموت الشيخ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ خسرت الدعوة السلفية ركناً من أركانها في عصرها الحديث. والدعوة السلفية اليوم بحاجة إلى دعاة أمثال رشيد رضا في علمه

---

(١) شكيب أرسلان : مرجع سابق ص ٧٩٩ و ٨٠٠ ، وأحمد الشرباصي : رشيد رضا صاحب المنار ـ ص ٢١١ ـ ٢١٤ .

(٢) رشيد رضا : تفسير سورة يوسف ص ١٣٠ ، ط ١٣٥٤هـ.

وصبره وقدرته على الإقناع واطلاعه الواسع لتضمن لها الانتشار والاستمرار بإذن الله .

فهل يتحقق لهذه الدعوة دعاة أمثال هؤلاء الرجال ؟ نرجو ذلك والله الموفق والمستعان .

فهرس الموضوعات

القسم الأول

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

صــــدر منها :

١ ـ **الشباب دوره ومشكلاته :**
تأليف د. صالح الفوزان ـ الأستاذ شاكر سالم الدولة.

٢ ـ **معالم رئيسية في مسيرة الجامعة الإسلامية.**
تأليف د. عز الدين إبراهيم.

٣ ـ **محمد بن عبدالوهاب داعية التوحيد والتجديد في العصر الحديث.**
تأليف الأستاذ محمد بهجة الأثري.

٤ ـ **توجيهات الإسلام في نطاق الأسرة.**
تأليف د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي.

٥ ـ **الاجتهاد ورعاية المصلحة ودرء المفسدة في الشريعة الإسلامية.**
تأليف د. عبدالعزيز السعيد.

٦ ـ **السياسة الجنائية في التشريع الإسلامي.**
د. مصطفى محمد حسنين.

٧ ـ **الزواج في الريعة الإسلامية**
تأليف الشيخ محمد الصالح العثيمين.
والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن داود.

٨ ـ **حول انتشار الإسلام وقائع وملاحظات**
تأليف د. عماد الدين خليل.

٩ ـ **التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية**
تأليف د. محمد بن أحمد الصالح.

١٠ ـ **تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران**
تأليف الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي.

١١ ـ ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها
تأليف صالح أحمد رضا.
١٢ ـ الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني
تأليف د. إسماعيل أحمد ياغي.
١٣ ـ ابن قيم الجوزية
تأليف د. محمد الأنور السنهوتي.
١٤ ـ كيف تحفظ القرآن الكريم
تأليف الشيخ عبدالرب نواب الدين.
١٥ ـ الشعوب الإسلامية ووسائل التقريب بينها
تأليف د. مقداد يالجن.
١٦ ـ ميسرات البحث العلمي عند المسلمين
تأليف د. محمد عبدالعليم مرسي.
١٧ ـ الدروس الحكمية للناشئة الإسلامية
تأليف الأستاذ رفيق العظم / إعداد محمود رداوي
١٨ ـ مفهوم المسرح الإسلامي والمسرح العربي
بقلم د. عدنان محمد وزان.
١٩ ـ التغريب في التعليم في العالم الإسلامي
بقلم د. محمد عبدالعليم مرسي.
٢٠ ـ الإسلام والطفل
د. عبدالرزاق حسين.
٢١ ـ شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم
تأليف د. عبدالحليم عويس.

٢٢ ـ التربية والتنمية في الإسلام

تأليف د. محمد عبدالعليم مرسي.

٢٣ ـ النهضة الإسلامية بين مسؤولية القيادة وواجبات الأمة

تأليف د. عبدالحليم عويس.

٢٤ ـ حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

تأليف د. محمد بن عبدالله السلمان.

